روايات رومانسية عالمية
عبير



مارغريت واي

إثنان على الطريق

مكتبة مدبولي

عبير
روايات رومانسية عالمية

اثنان على الطريق

(انا لست

سلعة للبيع)

هكذا اجابت الشابة بروك المليونير بول كوريللي الذي عرض عليها الزواج انقاذاً لأوضاع عائلتها المالية المتدهورة . الا ان امها ليليان جن جنونها حين علمت برفضها الزواج من اغنى اغنياء استراليا الذي يحمل مفتاح الحل بالنسبة الى مشاكل العائلة الاقتصادية . قالت بروك لأمها : (اني لا احبه فكيف اتزوجه؟) قال بول بروك : (تزوجيني وستقعين فيما بعد في الحب) وردت بروك (كيف احب الرجل الذي اشتراني) ولكن بول عرف كيف يصل الى هدفه مستعملاً مختلف الوسائل والطرق المؤدية الى قلب بروك. اراد ترويض الهرة الشرسة . بروك لم ترم اسلحتها برغم العذاب الذي عانته . واستمر الصراع بينهما على أشده الى ان حدثت الصدمة وتكشفت امام بروك حقائق مذهلة كانت تجهلها عن الحياة والحب والزواج.

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

١ - المال يتزوج المال

كعادتها دائماً، اصمت بروك اذنيها عن كلام امها. لكن لويز ظلت منتصبة تنظر بعينين باردتين قاسيتين، في حين راحت الأم تواصل حديثاً كان قد بدأ قبل لحظات:

«. . . ان اياً منكما لا تعطيني اي اعتبار. فمهما كان، أنا امكما التي ربتكما. ومن واجبي الا انصحكما واوجهكما. . . آه لو ان الأمور تعود كما كانت في الماضي. . .» ثم التفتت الى لويز قائلة: «انت الأكبر يا لويز، وانت جميلة العائلة. لذلك من واجبك ان تتزوجي باتريك فهو رجل طيب. . . وثري جداً ايضاً».

انفجرت لويز منتحبة:

«كفى يا امي».

تدخلت بروك قائلة:

«ولماذا ليس كوريللي. ففي الأزمات يتجرأ الانسان على التحرش بالأسد النائم».

ردت لويز بمرارة:

«انت مجنونة. لن استطيع التعامل معه ابداً».

حدقت عينا بروك الخضراوان بوجه شقيقتها الناصع البياض وقالت:

«لعله من الأفضل ان تبدأي التعلم فوراً. قد لا يكون هو الرجل الظريف اللطيف الذي تريده امي من اجل ابنتها، لكن ثروته الكبيرة تشكل عامل جذب هاماً. وعندها لن اضطر انا للعمل، ولن نضطر لبيع بيتنا وينترسويت اليس هذا هو الواقع كله يا امي؟».

صاحت السيدة ليليان هوبل بحماس:

«الافضل ان ابيع ملابسي قبل بيع البيت».

افتعلت بروك ضحكة ساخرة وقالت:

«يا الهي. ليس هناك اسوأ من هذا الوضع».

قالت ليليان بانفعال:

«الأمور ستكون اسوأ بكثير اذا لم تتزوج احداكما الثروة الراهنة. رباه، لماذا مات بوب وتركني في هذه الورطة؟ ارملة مع ابنتين عاجزتين؟ لماذا لم انجب ابناً ذكراً يواصل رعاية امور العائلة؟ على الأقل امنت لكما العلم والحياة الاجتماعية اللائقة».

ردت بروك بلا مبالاة:

«لويز هي التي قامت بذلك».

«هذه اخبار جديدة بالنسبة لي يا آنسة. انت تغارين مني لانك لا تملكين الجمال الذي املكه».

«انني لأشعر بالخجل منكما. كل جهودي وتضحياتي غير المحدودة ذهبت هباء».

تدخلت لويز بلطف:

«يجب الا تفقدي الأمل يا امي؟».

سألتها بروك بجفاء واضح:

«من الأفضل ان تراقبي نفسك انت ايضاً، فأنا اسير نحو الثلاثين بسرعة».

ردت لويز باستنكار:

«انك في الرابعة والعشرين... وانا اكبر منك بسنتين فقط».

«يا لحسن حظك، اذ ان لك الفرصة الأولى للزواج من كوريللي».

اجابت لويز بتواضع التي تعرف انها جميلة جداً:

«لا يمكن ان يكون مهتماً بي شخصياً».

«الجميع يقولون انه مهتم».

نهرت ليليان ابنتها الصغرى قائلة:

«سيكون غبياً اذا لم يهتم بها، فهو لن يجد اجمل واطيب وافضل من لويز».

عادت بروك للحديث وهي تدرك تماماً ما جرته على نفسها:

«وانا هنا ايضاً يا امي».

حدقت الأم بابنتها الصغرى مطولاً ثم استدارت في مقعدها لتواجه ابنتها المفضلة. فلقد كانت لويز الأثيرة عندها، اذ انها نسخة طبق الأصل عنها عندما كانت في مثل عمرها. ذهبية الشعر، زرقاء العينين، وفاتنة للغاية. قالت الأم:

«ليس من الطبيعي ان تبلغ فتاة ما مثل سنك، دون ان تطلب للزواج».

«لكن يجب ان احب اولاً يا امي».

نهرتها ليليان بعنف:

«ما هذا الكلام السخيف، انه مجرد كلام نظري. انني صاحبة خبرة واعرف اكثر منك. يجب ان يكون زوج المستقبل ثرياً، والحب يأتي فيما بعد».

«وماذا لو اضطررت للانتظار فترة طويلة؟».

ردت ليليان على ابنتها الصغرى بعنف:

«على الأقل يجب ان نظل في الاطار المعقول. ففي الأيام الخوالي، ما كنا حتى لنعتبر وجود السيد كوريللي، لكن يظهر اننا مضطرات لاخذه بعين الاعتبار الآن».

ترددت للحظات وهي تتأمل الماسة التي تزين اصبعها ثم تابعت تقول:

«انني لست ضد السيد كوريللي. صحيح انه واحد منا، لكن يجب الاعتراف بانه شخص مميز نظراً للثروة الطائلة التي جمعها وهو بعد في الثلاثين من العمر. ومن المؤسف انك ما زلت جاهلة يا بروك، واستغرب كيف انك نضجت بدون ان تتغير فيك الطفلة المشاكسة التي اعرفها تماماً».

اعترضت لويز قائلة:

«هذا غير صحيح يا امي. اذ ان نيجل نفسه يعترف بانها جذابة جداً».

ردت ليليان بحزم:

«انه جاهل جداً. فمن الذي يبحث عن الجاذبية فقط؟ ان بروك لا تظهر ابداً اذا ما كانت معك... فانت تملكين وجهاً ملائكياً عجيباً».

واصلت لويز حديثها غير عابئة بكلام امها:

«انا احتاج اذن الى بعض مواصفات بروك. ولا اريدك ان تطلبي مني

تشجيع بول كوريللي للتقرب الي. فقد قلبت المسألة من كافة وجوهها، ولا اعتقد انني قادرة على التعامل معه. فهو رجل خطير، خاصة في الأمور العاطفية».

تدخلت بروك بهدوء:

«هناك العشرات من الفتيات المستعدات للحلول مكانك».

ابتسمت لويز بنعومة وقالت:

«لا شك عندي في ذلك».

اكتفت بروك باطلاق ضحكة مجلجلة رداً على ملاحظة شقيقتها، الأمر الذي ازعج امها فقالت:

«لا اتصور انك قادرة على اخذ الأمور بجدية اكثر يا بروك، مع انك تملكين مواصفات مميزة».

قالت بروك بلهجة تحد:

«هل استطيع ان اعرف هذه المميزات؟».

اجابتها ليليان بهدوء:

«الحقيقة ان اهتمامي كله منصب حول لويز، ولن اعطيك فرصة الهائي عن ذلك».

ثم التفتت الى لويز قائلة:

«اخبريني يا عزيزتي، هل دعوت السيد كوريللي الى حفلتنا».

وعلى حين غرة تحولت لويز من انسانة لطيفة الى انسانة متوترة وقالت:

«اتصلت به هاتفياً، وقد يضطر للاعتذار اذا اخذته اشغاله خارج المدينة في ذلك الوقت».

همهمت بروك بصوت خافت:

«هكذا اذن؟ يا له من رجل صعب، مجرد ثري لا يفهم شيئاً... وفي الوقت نفسه ناعم بطريقة غريبة ويتكلم كلاماً هادئاً عجيباً. اعتقد انه شاب ظريف ومميز... ومن الممكن ان تكون له علاقة بعصابات المافيا».

ردت لويز باستنكار شديد:

«لا ابداً».

شعرت الأم ببعض الأمل لاستنكار ابنتها وقالت:

«هل انت منجذبة اليه بهذا الشكل؟».

ردت لويز بابتسامة شاحبة:

«انه رجل جذاب جداً، وليس وسيماً على ما اعتقد، لكنه فاتن وساحر....».

قالت بروك وهي ترتشف اخر قطرة من فنجان القهوة:

«اعتقادك صحيح، وهو يعرف مميزاته هذه. هل عندك فكرة عن كيفية حصوله على ثروته؟».

فتحت لويز عينيها باستغراب:

«من شركة المقاولات التي يملكها... واظن انه يملك مجموعة من الفنادق».

غطت بروك بيدها فمها وهي تضحك بسخرية، ثم قالت:

«هكذا اذن. لا شك ان البحث المحموم عن الدولار انتهى ليحل محله البحث المحموم عن العروس. هل تريدين سماع ما تقوله كاتي بيتون عنه؟».

«لا اريد سماع اي شيء. فلقد كان لطيفاً معها بما فيه الكفاية ليصطحبها في بعض النزهات».

حدقت بروك في وجه شقيقتها قائلة:

«ليس هذا ما سمعته: لقد زارته حتى في يخته الرائع».

نظرت ليليان الى ابنتها الصغرى باشمئزاز وقالت:

«لا اعتقد انك مهتمة به شخصياً يا آنسة، اليس كذلك؟».

«انني احب صراحتك يا امي، لكنني لست من الفتيات العاجزات».

«ما هذا الكلام غير المعقول؟».

قالت بروك بجدية واضحة:

«لست ادري. فالواحدة منا تدرك بمجرد النظر اليه انه قادر على ان يري نجوم الظهر لأية امرأة».

ردت لويز:

«انه لطيف دائماً معي شخصياً».

ضحكت بروك وهي تمطط ذراعيها وقدميها:

«الأمر مختلف هنا. دعونا ننظر الى الايجابيات. فعلى الرغم من ماضيه الفقير فانه الآن ثري كبير ومؤثر».

وافقت لويز قائلة:
«انه كذلك فعلاً. واعتقد في بعض الأحيان انه يعرف اكثر مما تعرفه عائلة باتريك مجتمعة».
قاطعت بروك شقيقتها قائلة:
«لا جدال في ذلك. فعائلة كوربللي من اصل عريق... ولها قصة طويلة».
تدخلت ليليان في الحديث:
«لا يستطيع احد ان يسأله عن هذه القصة».
وافقت بروك قائلة:
«من الغباء سؤاله. فرجل في مثل نجاحه وثروته لن يكون غفوراً وسهلاً. ما يحتاج اليه في هذه المرحلة الجو الاجتماعي الراقي الذي يعطيه وريثاً. انا مجرد فتاة عاملة لا اصلح لذلك، لكن لويز تصلح. وبالاضافة الى ذلك هناك البيت والأراضي الملحقة به. هذا ما يطمح اليه، وقد يكون المدخل الذي يعبر بواسطته الى المجتمع الراقي».
«انه يستطيع شراء البيت اذا اراده».
ردت بروك بحزم:
«كلا. فهو يحتاج الى رمز ومنطقي. والرمز هو انت ايتها العزيزة لويز... والبيت ايضاً. انت قادرة على القيام بدور ربة البيت بامتياز، وبقليل من المال الذي سيضعه بين يديك، نستطيع نحن ان نتجح الى حد بعيد. ولا شك انه سيكون كريماً مع امك وشقيقتك الصغرى، وستعود الأمور الى ما كانت عليه ايام جدي... والحقيقة انني انتظر الساعة التي تتزوجينه فيها».
صاحت لويز متحجة:
«ولعله لا يريدني».
قالت الأم وهي تحاول اعادة الثقة المهزوزة الى ابنتها المفضلة:
«انه يريدك انت. فانت تعرفين مقدار جمالك وسحرك».
قاطعتها بروك بحدة:
«ليس اذا استمريت في التركيز على جمالها. انا استغرب كيف انني لم اصب بعقدة نقص من جراء مدحك لجمالها على حسابي طيلة هذه

السنوات».
اشارت لويز الى شقيقتها بابتسامة ذات مغزى:
«كنت دائماً الأذكى في البيت».
احتجت ليليان قائلة:
«وما علاقة الذكاء بموضوعنا؟ اياك ان تظني ان الرجل يرغب المرأة الذكية... خاصة المرأة ذات الشعر الأحمر واللسان السليط».
انثنت بروك على كلام امها ساخرة:
«طبعاً... طبعاً. والآن حدثينا يا لويز عما ستفعلين به عندما تحصلين عليه؟».
صرخت لويز بانفعال:
«لا تسخري مني ارجوك». وراحت تردد كلمة «ارجوك» لثوان عديدة، قبل ان تنتصب واقفة وتغادر الغرفة مسرعة وهي تداري دموعاً تتدفق من عينيها. همهمت بروك قائلة بهدوء:
«يا الهي... ما هذا؟».
ارتفعت حدة صوت ليليان وهي تقول:
«لقد ازعجتها بكلامك الساخر».
«هذا ما يبدو. لم اكن اظن انها تأخذ كلامي على محمل الجد».
«وانت لا تريدينها ان تحصل عليه. انت تغارين من لويز، ولا يحتاج الأمر الى تحليل نفسي لاكتشاف الحقيقة».
وفوجئت بروك بانها راحت تفند اتهامات امها تفصيلياً:
«هذا كلام غير معقول ويثير الضحك في نفسي. كلا يا امي، انا لا اغار من لويز. لم اشعر بالغيرة منها في الماضي، ولن اشعر بها مستقبلاً. انني احبها ولا احسدها على اي شيء اطلاقاً».
ردت ليليان بعنف اشد:
«هذا ما تقولينه. انت مثل ابيك، تتصرفين كما يحلو لك، وتسخرين من اختك في مختلف الظروف».
«اذا اردت، يمكنني ان اغادر البيت لاعيش في مكان اخر».
تضرجت وجنتا ليليان بحمرة الغضب وقالت:
«الحقيقة اننا بحاجة الى المال الذي تدخلينه الى البيت. لقد ضحينا

سنوات من اجلك، وجاء دورك الآن لرد الجميل الى امك وشقيقتك».

قالت بروك بجدية:

«من المؤسف ان لويز غير متحمسة للعثور على عمل».

قاطعتها ليليان بغضب:

«وانا غير مهتمة، وكذلك لويز. انت يجب ان تهتمي. وكما قالت شقيقتك، أليس من المفروض ان تكوني صاحبة العقل بيننا؟».

هزت بروك كتفيها بلا مبالاة، فالمناقشة مع امها - كالعادة - تصيبها بالصداع الشديد:

«لا اقصد ان اثير غضبك يا امي، ولا احاول ان اقترح اشياء غريبة. ان لويز قادرة على العثور على عمل، ونحن باشد الحاجة الى المردود المالي. انني احب بيتنا ايضاً، ولكن من المستحيل تدبير اموره ومتطلباته اعتماداً على مرتب معلمة مدرسة في الثانوية».

نهرت ليليان ابنتها وكأنها تبعد عن ذهنها هذه المهنة الوضيعة وقالت:

«معلمة مدرسة ثانوية؟ لويز ستتزوج قريباً... وسترين انني على حق».

قاطعتها بروك بهدوء:

«واذا لم تتزوج فقدنا البيت... والحياة التي اعتدت عليها».

قالت ليليان وكأنها لم تسمع كلام ابنتها الأخير:

«رجل... زواج رائع جداً. ومن المفروض ان يكون كوريللي هذا صاحب الثروة الطائلة».

«الا يهتمين بكيفية حصوله على هذه الثروة؟».

«طبعاً لا اهتم».

ثم ترددت قليلاً وكأنها ادركت متأخرة مغبة تصريحها هذا فاستدركت قائلة:

«اعني انه ليس مجرماً، بل هو رجل اعمال ناجح. وكل اهتمامي هو ان ارى لويز الحبيبة سعيدة... وابقاء البيت ضمن العائلة».

«مطالب لا تعد ولا تحصى. وكل الأخبار والحكايات عن السيد كوريللي يمكن ان تظل طي الكتمان».

اخذ وجه ليليان يحتقن بالغضب والتوتر وهي تقول:

«كلام لا معنى له. فالسيد كوريللي رجل محترم ومعتبر فعلاً. وحتى ولو كان من غير عالمنا، فعلى الانسان ان يتبع تطور الأزمان. ان بيتنا وميراثنا مهددين. صحيح ان البيت قائم، لكنني اذا بعت المزيد من الأثاث فانه سينتهي الى مجموعة من المفروشات القديمة البالية. كم هي سعيدة ماجي سيموتز لسوء حظنا... فلقد جمعت ثروة من جراء بيع تحفنا واغراضنا الأثرية».

«تذكري يا امي اننا نحن الذين بحثنا عنها، فماجي معروفة بانها امينة وصادقة في تعاملها المهني وتملك مواصفات نحن بأمس الحاجة اليها. انني اقدرها كصديقة حميمة. صحيح انها عاشت في عائلة غنية، لكن عندما نضب المال، وظفت معلوماتها في المكان المناسب. فدعينا من سيرة ماجي الآن، فهي قد ادت خدمات جلى لنا».

ردت الأم بغضب وهي تشعر بالغيرة من تلك المرأة التي استطاعت ان تشق دربها الجديد بنجاح:

«وادت خدمات جلى لنفسها ايضاً».

«هكذا تسير الأمور عادة. المهم ان ماجي لم تفتح فمها بكلمة. فقد كان من الممكن ان تنتشر قصة بيعنا لأثاث البيت على كل شفة ولسان لو ان الوسيط غيرها».

هزت ليليان رأسها وقالت:

«انني مضطرة لذلك. هل تعتقدين انني لا اشعر بالرغبة في بعض الأحيان بتحطيم المظاهر الكاذبة المحيطة بالبيت؟».

ارادت بروك ان تثير امها اكثر فاجابت:

«مظاهر كاذبة... لكنها جيدة».

واصلت ليليان حديثها بصوت مخنوق:

««عندما افكر بكل الأغراض التي ذهبت؟ غرفة الصالون، والخزائن، وطاولة الطعام، والمرايا الجدارية، والمجموعة الشرقية التي جمعها بوب. انه كابوس مزعج، كان من الممكن تلافيه لو ان اباك لم يمت».

«ربما!».

شعرت بروك مرة اخرى بعمق الخسارة. فهي تفكر دائماً بما كان سيحدث لو ان اباها لم يمت في حادث سقوط عن الحصان وهي بعد في

الرابعة من عمرها. قبل ذلك كانوا يعيشون في منزل جدها لامها السيد اشتون في ويترسويت. كان البيت يتسع لكل الناس، وكان عليهم ان يسهروا على صحة الجد المعتل. وعلى الرغم من ذلك استطاع ان يسهر على رعايتهم من خلال بيعه للعديد من التحف والاثريات التي يملكها، ثم توفاه الله ايضاً. حدث ذلك قبل اربع سنوات، ومنذ ذلك الحين تقع عينا بروك على اماكن فارغة كانت قبل مدة ممتلئة بالتحف القديمة. صحيح ان البيت ما زال موجوداً، لكن مجموعة عائلة اشتون التي ترجع لاجيال عديدة باتت قائمة في بيوت اخرى غريبة. انهم ليسوا فقراء... ابداً. ولا يمكن ان يعرفوا الفقر طالما انهم يملكون البيت. لكن الاملاك الثابتة لا تؤمن السيولة اللازمة. وهم يعيشون هذه المدة بعد بيعهم احدى التحف البرونزية. ولا شك ان العائد المالي منها سيصرف على حفلة نهار السبت المقبل. ان الأم مقامرة ماهرة، وهي تحاول استثمار هذه الحفلة للتعويض عن كل خسائرها دفعة واحدة.

اعادها صوت الأم الى الواقع:

«وانت يا بروك، لا تحاولين ان تبني علاقات صداقة مفيدة. بل يظهر انك لا تهتمين حتى بمستقبلك، ناهيك عن مستقبلنا انا واختك».

«هل تقصدين القول انني لست في عجلة من امري كي اتزوج؟».

ردت الأم بلا مبالاة:

«لا يهمني اذا تزوجت او عنست، طالما انك تساعدينني لتحقيق طموحات اختك... فهي خلاصنا من الأزمة».

«وانت تريدين بيعها للذي يدفع سعراً اعلى؟».

صرخت ليليان بغضب وقالت بحدة:

«حاولي ان تتذكري انك تخاطبين امك يا آنسة. انني احب لويز، ولا تنسي انني اريد لها مستقبلاً افضل. انها تختلف عنك، ولذلك فهي تحتاج الى رعاية دائمة».

علقت بروك بلطف:

«تقصدين انها تخاف من العمل؟ انت السبب في موقفها هذا يا امي! كل الناس يعملون الآن، بل ويحبون اعمالهم ايضاً».

كانت ليليان قد وقفت، وراحت تحدق بابنتها باستغراب شديد:

«لم يستمر زواجي طويلاً، لكنك تجدين يلبر كل يوم امامي».

وقفت بروك الى جانب امها التي تقصرها بعدة سنتمترات وقالت:

«يبدو انك احببته كثيراً يا امي. لم يكن يملك ثروة طائلة مثل جدي، لكن الجميع ما زالوا يتحدثون عن قيمته كمهندس بارع ويشيرون الى المباني العامة والخاصة التي صممها في حياته. انني حزينة لأن ابي لم يعش اكثر. والظاهر انني اشبهه في كوني احضر المزيد من المال الى البيت عن طريق الدروس الخصوصية التي اعطيها لبعض التلاميذ. واعتقد ان ابي كان سيشجع لويز على العمل... فالجمال وحده لا يكفي هذه الأيام».

شحب وجه ليليان وهي ترد قائلة:

«اعتقد انه يكفي. لقد نشأت على تقليد يقول ان على البنت ان تظل في البيت حتى تتزوج. ان لويز هي فرحتي وراحتي، وانا مسرورة جدا برفقتها. وهنا اريد ان اذكرك انك لست مصدر التمويل الوحيد للبيت... فما زال هناك اشياء في البيت يمكن ان تعطينا ما يوازي مدخولك على سنوات».

«اعرف ذلك... ومتى بعناها نكون قد فقدناها الى الابد. انا متأسفة لصراحتي، لكنني لم اقصد اثارة غضبك. ارجوك ان تسامحيني».

«سأحاول يا بروك. المشكلة ان انانيتك تغلب على عقلك. قد تكونين عاجزة عن منافسة اختك في جمالها. لكنك قادرة على استثمار ايجابياتك الاخرى. انا لم انس انك بحاجة الى فستان جديد للحفلة، فلو انك جئت وطلبت الفستان بلطف، كما فعلت اختك لويز، لكنك تعتقدين ان اخذ المال من امك كمن يأخذ المال من الفقراء واليتامى».

حاولت بروك ان تأخذ يد امها بيدها، لكن ليليان انتزعتها بعنف.

قالت بروك:

«هذا غير صحيح يا امي. انا لا ارغب في تحميلك اكثر مما تحملين، طالما انني قادرة على تدبير اموري».

«ومثل ماجي سيمونز على ما اعتقد؟ انها صاحبة الفضل في كل تصرفاتك الواثقة... ولا يبدو انك تشعرين بالحرج في التحدث اليها».

وافقت بروك بهدوء:

«ان افكارنا تتفق تماماً. ان ماجي امرأة رائعة. وكم اتمنى ان لا تواجهيها

ابداً، ثم تستعمليها كما تفعلين في كل مرة».

غامت عينا ليليان خلف نظرة غاضبة وقالت:

«ليست هذه المرة الأولى التي تحدث فيها امرأة ما شقاقاً في البيت. لقد حاولت ان تؤثر عليك منذ البداية. صحيح ان بوب كان معجباً بها، لكنها من النوع الذي يثير اعجاب كل الرجال. واذا لم اتركك الآن، فسوف اتأخر انا ولويز عن دعوة الغداء... وهي الدعوة الوحيدة التي تلقيتها هذا الاسبوع».

قالت بروك بهدوء:

«هيا اذهبا وتمتعا بنهاركما».

ردت ليليان بجفاء:

«يجب ان ترافقينا ايضاً. او انك لا ترغبين في التعرف الى الناس المهمين... باستثناء ماجي سيمونز طبعاً؟».

تنهدت بروك بعمق وعادت الى مقعدها قائلة:

«ماذا تريدان للعشاء؟».

«ارجوك ابتعدي عن الدجاج... حاولي التغيير الى انواع اخرى».

قالت بروك بصوت خافت محاولة ان ترفه عن امها قليلاً:

«سأتدبر امري. لكن المسألة كلها في التوفير... هل ترغبين ببعض السندويشات الخفيفة؟».

هزت ليليان يدها بلا مبالاة وغادرت الغرفة وهي تقول:

«يا لك من انسانة فاقدة للاحساس تماماً».

استمرت بروك في جلستها تتأمل الحدائق الممتدة حتى الميناء وهي تتساءل بينها وبين نفسها: «هل انا فاقدة الاحساس فعلاً؟ هل هكذا ابدو امام اختي وامي؟».

كان الوقت ربيعاً، والأزهار على مختلف انواعها لونت المروج بالوان فاقعة واخرى هادئة رصينة. ومن موقعها المطل على الغابات المجاورة، كانت بروك تفكر بالأوضاع التي وصلت اليها العائلة. كان وينترسويت بيتاً فخماً ذا ماضٍ عريق، على الأقل في زمن جدها. وقد ازيلت منه في الوقت الحالي بعض المنحوتات التي كانت تزين الحدائق، كما توقفت النافورة عن العمل في الباحة الرئيسية. ومع انها حاولت السخرية من خسارة اثاثه

ومنحوتاته، الا انها كانت تشعر في اعماقها بالحزن للمصير الذي آل اليه. فهذا بيتها ومسقط رأسها، وهي تحبه وتشعر بالانتماء اليه وربما اكثر من امها، وبالتأكيد اكثر من لويز التي تعتبره من الطراز القديم وقد عفى عليه الزمن. صحيح ان البيت قديم، لكنه يعطي شعوراً بالعظمة والجمال والاتساع... وكل التضحيات تهون من اجل الحفاظ عليه. يمكنني ان ينهن البيت غداً اذا اردت، لكن اولاً يجب اعطاء لويز فرصتها. لقد كانت الحياة بالنسبة للشقيقة الكبرى احلاماً وردية دائماً... وعما قريب سيأتي الفارس الوسيم على حصانه الابيض ليطلب يد الأميرة لويز، وفي الوقت نفسه يعمد الى شراء القصر والحفاظ عليه.

هل يمكن ان تتحقق هذه الأحلام؟ وفجأة عادت صورة بول كوريللي الى ذهن بروك بوضوح، وتذكرت اول مرة رأته فيها. كان ذلك قبل عدة اشهر عندما انضم الى مجموعة الاصدقاء الحميمين الذين تعرفهم... مجرد ثري عتيق كما تصفه ليليان مقارنة مع الاثرياء الجدد الكثيرين. لا احد يعرف من اين جاء بول الى المدينة، لكنه استطاع خلال سنوات قليلة ان يجمع الملايين وسط شائعات متضاربة حول ماضيه واعماله. البعض قال انه من اصل ارستقراطي عريق، وآخرون يؤكدون انه كافح بصلابة وقاتل بشجاعة لينتقل من ضواحي مدينة نابولي الايطالية الفقيرة الى مصاف الاثرياء.

ومهما كان الأمر، فانه صاحب شخصية جادة واثقة من نفسها وقاسية... الى ان يبتسم. عندها فقط يظهر سحره الأخاذ ووسامته الطاغية المتمثلة في اسنان لؤلؤية متناقضة مع بشرة سمراء، وعينين سوداوين لامعتين تشعران المرء بانهما تخترقان المظاهر الى الاعماق. ولم تكن اي امرأة قادرة على تجاوز نظراته الحادة. وفجأة شعرت بروك وكأن نسمة باردة لفحت وجهها وعنقها. فارتجفت وهي تفكر باختها. لويز المسكينة مع كوريللي؟ هذا غير معقول! ان جمعهما معاً اشبه بمن يريد عقد صداقة بين القطة والنمر.

ومرة اخرى تخيلت بروك كيف ستكون الأوضاع اذا تزوج ذلك الرجل القاسي من شقيقتها الجميلة الحالمة. ان كوريللي قادر على تعذيب اية امرأة، حتى وان كانت سليلة عائلة كبيرة مثل لويز. وبروك تدرك تماماً

طبيعة كوريلي، خاصة وانها تبادلت واياه العديد من الكلمات والغمزات القاسية في المرات القليلة التي التقيا فيها. ومع انهما لا يعرفان بعضهما تماماً، الا انهما يشعران وكأنهما عدوان لدودان منذ زمن بعيد. كانت بروك تتصرف وتتكلم بالطريقة التي يكرهها كوريلي في المرأة... وقد اوشك ان يعلن ذلك مراراً. ومهما كان الأمر، عليه ان يعتاد على تصرفاتها وكلامها اذا كان راغباً في مصاهرة عائلة راقية. ولا شك انه يريد ذلك بالحاح.

على الرغم من ان عائلة اشتون تعاني الآن مصاعب عديدة، الا انها عريقة في التاريخ والمجتمع، ويعود زمانها الى ايام استعمار الانكليز لجزر الهند الغربية. وقد بنى روبرت اشتون وينترسويت على طراز بيوت عائلته في منطقة سافوك التي تعد من اجمل مناطق بريطانيا، ثم استورد احدث الأثاث الفرنسي والانكليزي بالاضافة الى مئات التحف واللوحات التي كان يفخر كل نبيل باقتنائها. وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، شارك شباب العائلة في المعارك... كما ان خاليها جوناثان وهيو توفيا في غينيا الجديدة وهما في اواسط العشرينات من عمرهما. ولم يتبق من العائلة الآن الا الأم ولويز وبروك والخالة الكبيرة ملفيل.

ومن الواضح لدى الجميع ان اياً منهن لا تستطيع انقاذ وينترسويت بمفردها. فالبيت يحتاج الى ثروة طائلة للاهتمام بشؤونه وصيانته. ولا شك ان لويز تتمنى الاحتفاظ به، لكنها بحاجة الى حشد من الخدم لرعاية البيت في ظل سوء ادارتها وعدم اهتمامها.

بعد حوالى الساعة تقريباً كانت بروك تفضي بمشاعرها وافكارها لصديقتها ماجي التي قالت وهي تتأمل احدى اللوحات لراعية اغنام:

«انني افهم ما تقصدين!».

«مقارنة معها، اشعر وكأنني المرأة الخارقة».

استدارت ماجي ببطء وهزت رأسها قائلة:

«ستتضح رؤيتك للأمور بمرور الوقت... وربما كان من الضروري وجود رجل لمساعدتك في ذلك اذ من غير المعقول ان تكتشفي نفسك بالمقارنة مع امك وشقيقتك فقط».

«لا بد من الاعتراف بانهما مختلفتان في رؤيتهما لي».

ترددت ماجي في الاجابة وكأنها تفكر، خاصة وانها غير مشغولة في يوم

السبت هذا. واخيراً قالت:

«انني معجبة بك واراك جذابة، وكذلك يراك الآخرون. لويز جميلة جداً، وهذا هو الشيء الوحيد الذي تتمتع به. اما انت فلديك حكمة العجائز وكأنك اشرفت على تربية اجيال كاملة.

وهذا ما اعتقده شخصياً...».

قالت ماجي وهي ترتب بعض الأواني الأثرية في الخزانة:

«وانت لا تختلفين عن اية فتاة اخرى في مثل سنك. انا آسفة يا عزيزتي، لكنني استغرب ان يهتم السيد كوريلي بلويز وليس بك انت».

علت الدهشة وجه بروك التي تساءلت:

«وانت تمزحين بالتأكيد؟».

«لا يا عزيزتي... ابداً».

ردت بروك بجدية:

«وهذا غريب جداً. فأنا اجد نفسي في مواجهته كلما التقينا، واعتقد انه يشعر بالعداء نحوي ايضاً».

قالت ماجي انطلاقاً من خبرتها النسائية:

«طبعاً. والسبب يكمن في الانجذاب المتبادل».

«لا اعتقد ذلك يا ماجي. المسألة واضحة جداً، هو لا يحبني وانا غير مهتمة به اطلاقاً. ومن الخطير جداً ان ادعه يتزوج شقيقتي».

سألتها ماجي والشكوك تملأ نفسها:

«وهل انت متأكدة من انه يريد الزواج منها؟».

«امي ولويز تعتقدان بانهما قادرتان على جره الى القفص الذهبي».

«واذن فالأمر يحتاج منك الى جهد جهيد. لست افهم لماذا لا تقولين لهما ان يذهبا الى الجحيم... فكون شعرك احمر لا يعني ان تتنازلي دائماً عن رأيك».

قالت بروك بحسرة:

«حسناً، هناك الحفلة التي ستقام الاسبوع المقبل».

علقت ماجي بجفاء:

«والسعر الذي حصلنا عليه ثمناً للتحفة البرونزية كان ممتازاً. وآمل ان تكوني قد حصلت على حصتك. لقد بذلت جهدي من اجلك،

واستغربت حصولي على ذلك الثمن».
«اشكرك جداً يا ماجي».
حدقت المرأة الناضجة في وجه صديقتها الصغيرة، فرأت فيها ملامح الجمال الكامن والجاذبية الآسرة، وليس فقط الجمال الباهت الذي تتمتع به شقيقتها لويز. لا شك ان ليليان ارتكبت خطأ جسيماً عندما حاولت اقناع صغيرتها بأن الشقراوات هنّ فقط الجميلات والمرغوبات. فقد كان وجه بروك على الطراز الحديث بشعرها المجعد وعينيها الخضراوين اللامعتين وانفها الرقيق فوق شفتين ممتلئتين، وكل ذلك مع بشرة بيضاء ناعمة.

قالت ماجي بعد صمت:
«ولماذا لم تشتري لنفسك فستاناً خاصاً بالحفلة؟».
ردت بروك بهدوء:
«سوف افعل، لكن يجب ان ترافقيني لاعطاء الرأي... فأنت ذات ذوق رفيع في الملابس».
«سأجرب ان اكون معك».
استدارت ماجي ناحية النافذة وقد سرتها ملاحظة صديقتها. لم تكن هي نفسها جميلة الملامح، لكنها تملك الذوق والبراعة والثقة بحيث جعلت الجميع يرون جاذبيتها في كل ما تفعل. فخلف نجاحها الباهر مأساة محزنة تتمثل في حادث سيارة ادى الى مقتل زوجها وابنها واصابتها هي بجروح طفيفة. ومع ان خمس عشرة سنة تفصلها عن ذلك اليوم المفجع، الا انها ما زالت تشعر بفداحة الخسارة، وترى في بروك الابنة التي كان من الممكن ان ترزق بها لولا ان القدر شاء العكس.
قالت بسرعة وكأنها تخرج من ذكرياتها الاليمة:
«سأقول لك شيئاً. يجب ان اذهب الى مالبورن نهار الثلاثاء، اذ ان صديقة عزيزة تريد ان تريني بعض التحف الفضية. وهناك سأمر على محلات مارتن ليندن واختار لك شيئاً خاصاً، اكرر: شيئاً خاصاً لك انت فقط. فانا اعرف مقياسك واعرف ذوقك. فلماذا يجب ان تحصل لويز دائماً على الملابس الجميلة طالما ان لك قواماً مثالياً رشيقاً؟».
رفعت بروك سلة فضية صغيرة وسألت قائلة:

«من طراز عصر الملك جورج؟».
«من منتصف ذلك العصر تقريباً. ومعها مملحة ومبهرة فضيتان ايضاً، حصلت عليها من سيدة عجوز تقيم على الشاطىء الشمالي... وقد اصبحنا صديقتين حميمتين، وكثيراً ما ازورها لتمضية بعض الوقت معها».
هزت بروك رأسها بحزن:
«كل الفضيات التي تملكها العائلات العريقة ذهبت ادراج الرياح». ثم ترددت وقالت:
«لا يمكن ان ادعك تشترين لي ثوباً من عند ليندن، فأنا اعرف اسعارها الباهظة ولا استطيع تحملها».
ردت ماجي بحزم:
«انا استطيع. وسوف اشتريه لك حتى لو اقدمت فيما بعد على اخذه منك وارتدائه بنفسي. وعندها سأضطر الى اضعاف نفسي حتى اصبح رشيقة مثلك... ولكنني اعتقد انك ستقبلينه».
التقت عينا بروك بعيني ماجي الحادتين، فقالت:
«ارى انك ستغضبين جداً اذا لم اقبله منك؟».
«الحقيقة يا عزيزتي، ان بامكانك ابراز جمالك اذا حاولت. لويز جميلة جداً، لكنها ليست الجميلة الوحيدة في العائلة حسب رأيي المتواضع. فالبعض يعجب بالرشيقات ذوات الشعر الأحمر، خاصة اذا ارتدين من عند مارتن ليندن ومن اختيار ماجي سيمونز ايضاً».
ابتسمت بروك بخجل:
«لا بأس من التغيير في بعض الأحيان. لكن الحفلة كلها من اجل لويز، التي يتوقف عليها خلاصنا حسب ما تعتقد امي».
«وانت تعرفين تماماً ان هذا المنطق خاطىء يا بروك».
ردت بروك قائلة:
«امي ولويز تعيشان في الماضي الجميل، ربما في العصر الفائت. ولويز تشعر بالخوف من القيام بأي عمل».
استدارت ماجي بعد ان تركت مزهرية كانت في يدها وقالت:
«ويا للغرابة. قلة من الفتيات لا يعملن شيئاً هذه الأيام، وهي لا تشكو من شيء ابداً».

وافقت بروك بحماس: «انها على ما يرام. هي عاجزة فقط عن التفكير بالاعتماد على نفسها.

«فالزواج يبدو الحل الوحيد لها، خاصة بعد ان اقنعتها امي بان الحياة الزوجية هي العمل الطبيعي لسيدات المجتمع الراقي».

قالت ماجي بسخرية:

«لاحظت ان امك لا تعارض عملك».

«الحقيقة انها اصيبت بالصدمة للوهلة الأولى. انا وانت نشعر بالارتياح للعمل، لكن امي ترى الأمر سخيفاً وغير مقبول اجتماعياً... ولا شيء يمكن ان يغير رأيها. في هذا المجال لم تتغير ابداً، فقط ضمت بول كوريللي الى عالمها الخاص».

«انها تتعامل مع الزواج كما كانوا يفعلون في العصور القديمة. نحن نعرف ان المال يتزوج المال، لكن من الغريب محاولة الجمع بين لويز وكوريللي. اقصد انها فتاة هادئة جداً بينما هو رجل ديناميكي قاس لم ار مثله في حياتي».

قالت بروك باستغراب:

«تتحدثين عنه وكأنك معجبة به؟».

علقت ماجي بابتسامة ساخرة:

«لم اصل الى السن التي تمنعني من معرفة الرجال على حقيقتهم».

اطلقت بروك صرخة استغراب قائلة:

«يا الهي».

«لا ضرورة للاستغراب، فأنا اعني ما اقوله. وقد زارني في المحل عدة مرات من قبل».

«هل اشترى شيئاً منك؟».

«كلا، لكنه يعرف الأشياء الثمينة والجميلة. وعندي شعور بانه سيشتري عندما يأتي في المرة المقبلة. وحتى في مثل سني، فأنا اراه جذاباً ووسيماً».

قالت بروك مبتسمة:

«ولماذا لا؟ انا ايضاً اعتقد انه جذاب. ومن ناحية اخرى، نحن لا نعرف عنه الا انه قادر على جمع الأموال بسرعة».

سألتها ماجي بلهجة ذات معنى:

«لا اظنك تعتبرين ذلك نقيصة فيه؟ دائماً هناك بداية لجمع الثروة. تأملي الشبان الذين تعرفينهم في المنطقة، قلة منهم يعملون حتى في اوقات الحاجة... والثروة التي يتمتعون بها جمعها اباؤهم واجدادهم. المال يصنع المال يا عزيزتي طالما اننا نستثمره بحكمة. اما بول كوريللي فهو قصة نجاح قائمة بذاتها... لقد صارع ونجح. والصراع يساعد على بناء الشخصية».

قالت بروك بحزن:

«قد لا يكون هو الشخص الذي ارغب في رؤيته زوجاً لشقيقتي».

اتجهت ماجي الى احدى الخزائن وهي تقول:

«انت في العادة كريمة جداً يا بروك. ولا شك ان هناك شيئاً حول كوريللي يجعلك تخافين منه».

ردت بروك المنشغلة بتأمل بعض الخواتم الأثرية:

«لعل عناده وشخصيته القاسية هما السبب».

«انه ليس عنيداً يا عزيزتي. وانت تخطئين في اعتبار الثقة الزائدة بالنفس والنجاح عناداً. من الطبيعي ان يعتز بنفسه وبافكاره وبعصاميته. الا تعتقدين بأن الايطاليين جنس وسيم وجذاب في الأساس؟».

انطلقت الكلمات من فم بروك بسرعة:

«انني لا ارتاح اليه». ثم رفعت يدها الى ماجي متسائلة:

«اي من هذه الخواتم تفضلين؟».

تمعنت ماجي في الخواتم قائلة:

«من الصعب الحكم. اعتقد ان الخاتم الذهبي المرصع بالياقوت يليق بيدك المناسبة تماماً لعرض المجوهرات. وعلى فكرة هذا الخاتم ايطالي الصنع، صنعه صائغ ايطالي اسمه كاستيلاني عاش في لندن خلال عصر الملكة فيكتوريا. امس بعت قلادة من صنعه ايضاً... انها قطعة رائعة. والآن ما رأيك في تناول بعض الطعام».

انتزعت بروك الخواتم من اصابعها وقالت:

«لا مانع عندي. فأمي ولويز ذهبتا لتناول الغداء عند عائلة واتلينغ».

«ولماذا لا تتزوج لويز نيجل؟».

نظرت بروك الى نفسها في مرآة الحائط وقالت:

«لا تستغربي، فالمسألة خطيرة جداً. ذلك ان نيجل لا يستطيع مساعدتنا في اهم نقطة، وهي الحفاظ على وينتر سويت. فعائلة الشتون هي التي بنت البيت قبل قرون، وامي تريده ان يبقى في العائلة».

ابتسمت ماجي بهدوء:

«انا لا الومها على موقفها هذا. فقلة من الناس قادرون حالياً على بناء بيت مثل وينتر سويت». ثم التفتت نحو بروك قائلة:

«لكن من العار ان تعرض امك لويز للبيع لمن يدفع ثمناً اعلى».

نظرت بروك الى صديقتها باضطراب واضح:

«امي تحبها كثيراً. والمضحك في القصة ان لويز مستعدة للمشاركة في مخطط الزواج... حتى وان كان العريس هو كوربللي نفسه. ومع انها تشعر بالخوف من هذه الخطوة، الا انها تعتقد نفسها قطعة اثاث ثمينة في البيت الكبير... معروضة للبيع ايضاً».

«هذا صحيح. ولست ادري ما رأي حركة التحرر النسائية فيها. واعتقد ان ليليان لم تسمع عن نشاطات الحركة ابداً. والحقيقة ان ذكاءها يمكنها من ابعاد اية افكار لا تريد ان تعترف بوجودها. لقد بذلت جهدي للحفاظ على اسرار عائلة الشتون، ولكن اذا لم تتزوج احداكما رجلاً ثرياً وبسرعة، فإن وينترسويت لن يصمد طويلاً. اذ من الصعب ان تقيم العائلة في بيت كبير فارغ، وانا بصراحة لا ارغب في رؤيتكن تفقدن المزيد من اثاثكن الثمين ثم تنتقلن الى بيت اصغر حجماً. هناك من اقدم على مثل هذه الخطوة. امي باعت بيتها بعد وفاة ابي الذي تركنا وحيدتين في مواجهة المصاعب المالية. انني اتعاطف مع امك في مشاعرها، لكنها الى حد ما في وضع افضل من غيرها».

قالت بروك ببطء شديد:

«معك حق. لكنني لا اريدها ان تعاقب بسبب كونها تعيش في عالم من الاحلام. فجدي لم يعدها لمواجهة ظروف الحياة العادية، وهي بدورها لم تعد لويز. ان شقيقتي جميلة جداً ورائعة جداً، لكنني لا اعتقد ان كوربللي يريدها. لقد صرفوا اموالاً طائلة على الحفلة من اجله شخصياً... وربما لن يحضر ابداً».

ردت ماجي بحزم:

«سوف يأتي. دعينا نتفق على شيء وحيد على الأقل، انه رجل يحصل دائماً على ما يريده».

٢- الوحش يخرج من الغابة

راحت بروك تتأمل فستان السهرة الجميل الذي ارتدته خصيصاً للحفلة. لم تكن قد ارتدت في حياتها كلها فستاناً مثله، ولذلك شعرت بالارتباك من جراء المظهر الجديد الذي ظهرت فيه، خاصة عندما وضعت المجوهرات الشرقية التي اعارتها اياها ماجي. كما وانها سمعت نصائح صديقتها الخبيرة فاستعملت بعض الماكياج الخفيف... بحيث تحولت بقدرة قادر الى قطعة جميلة وجذابة لم يكن يتوقعها الآخرون ابداً. لقد تركت المجوهرات والفستان والماكياج اثراً واضحاً عليها، وادركت لأول مرة ان لها جسداً متكاملا فاتناً اذا ما وضعته في الاطار الصحيح. دائماً كانت لويز تفوقها بالذوق والاناقة... ولكن ليس هذه الليلة. فبعد الذي صنعته ماجي، لا يمكن لاحد ان يشك في جمال بروك الاخاذ. كل شيء تغير حولها. قوامها الرشيق يشع فتنة ودلالا، وشعرها الاحمر الفوضوي تجمع في خصل حريرية اللمس... والمرآة التي تنظر اليها في غرفة النوم تعكس شكلا لا بد وان يدير رؤوس معظم الرجال.

سمعت بروك طرقاً على الباب ثم رأته في المرآة يفتح، فالتفتت نحو شقيقتها التي دخلت مبتسمة وقالت لها:

«انك جميلة جداً».

عجزت لويز عن الجواب، بينما راحت عيناها تقيسان بروك من اسفل الى اعلى وكأنها تراها للمرة الاولى، ثم وجدت الكلمات المناسبة قائلة:

«من اين لك كل هذا يا بروك؟».

ردت بروك بمرح:

«واحد المعجبين قدمها لي».

«اتمنى ان تسمح لك امي بارتدائه...».

انزعجت بروك من كلام اختها وقالت:

«ماذا تقصدين بكلامك؟».

ادارت لويز رأسها الى الجانب الآخر:

«ليس هذا هو الطراز الذي ترتدينه اجمالا».

توقفت عن الكلام قليلا وهي تتأمل الفستان والمجوهرات ثم تابعت قائلة:

«ان الفستان يبدي الكثير من فتنتك وجمالك».

فكرت بروك في الاستمرار بلعبة القط والفأر بدون ان تفقد اعصابها، لذلك سألت بهدوء:

«وهل يعنيها ذلك؟».

«انها لا تحب هذا الذوق المكشوف».

«موقف سخيف. لقد قررت الا اخجل من نفسي ومن جمالي بعد اليوم على الاطلاق».

قالت لويز بلطف:

«لقد حذرتك سلفاً...» ثم اقتربت من شقيقتها ووقفت الى جانبها امام المرآة وتابعت بلطف: «كم نحن نختلف!».

وجدت بروك نفسها تعلق قائلة:

«يجب ان تراقبي وزنك جيداً».

انفعلت لويز بهدوء:

«يقول باتريك ان قوامي رشيق كافضل ما يكون».

«انت كذلك فعلا يا عزيزتي. ولم اقصد ان اسيء اليك».

عاد الهدوء الى لويز وقالت:

«لا بأس. عندما تنتهين من ارتداء ملابسك، فان امي تريد ان تراك. واعتقد انها لن تحب فستانك والطريقة التي صففت فيها شعرك. فانت تبدين مختلفة تماماً».

ابتسمت بروك وسألت اختها:

«هل ترين ذلك حقاً؟».

«اجل. انت مختلفة كثيراً. واظن ان الشعر الاحمر يعطيك سحراً خاصاً».

علقت بروك بلطف:

«لعلي اريد ان احصل على شيء رائع في الحياة. فالكل يتجاهلني عندما اكون الى جانبك».

تخلت لويز عن جديتها للحظات قليلة، وابتسمت لشقيقتها بدون ان تجيب. فهي تبدو رائعة وساحرة كحلم وردي انيق في فستانها الحريري الواسع. هذه ليست المرة الاولى التي يقارن الناس بينها وبين اختها، لكنها غير مستعدة الآن للانسحاب الى غرفتها والتخلي عن فستانها الجديد وارتداء الزي الحريري البني الذي اختارته لها امها. صحيح ان اختيار امها لا يشكو من شيء، لكن اختيار ماجي يناسبها اكثر، وهي تثق بصديقتها اكثر من امها في هذا المجال.

بعد عشرين دقيقة تقريباً بدأ الضيوف يتوافدون الى البيت، بحيث لم يعد امام بروك مجال لتغيير فستانها كما اقترحت امها والحت عليها بعصبية وغضب. تجاهلت بروك رأي امها وغادرت الغرفة بهدوء، ثم نزلت السلم الخشبي الكبير متجهة الى القاعة ومنها الى المطبخ. . . واخيراً الحديقة الخلفية. لقد انهت شخصياً واجباتها العائلية، ولتدع امها ولويز تقومان بمهمة استقبال الضيوف بدون ازعاج.

كان من الواضح ان احداً من الموجودين في المطبخ لا يشارك الأم رأيها السلبي في مظهر بروك، التي ارتاحت لنظرات الاعجاب فالقت نظرة اخيرة على فستانها استعداداً للمواجهة الحاسمة. فهذه الحفلة هي نقطة التحول التي ارادتها ليليان ان تكون ذروة الحفلات وختامها ايضاً. الاموال التي صرفت عليها باهظة، افضل الخدم، اغنى الموائد، ما لذّ وطاب من طعام وشراب، زهور من مختلف الانواع والاشكال والالوان وغيرها الكثير. وعمدت الأم الى اعادة ترتيب ديكور غرفة الاستقبال وغرفة الطعام الواسعة بحيث لا يظهر اي اثر لفقدان التحف واللوحات الثمينة.

التفت بروك فجأة بالمسؤولة عن الخدم، وهي امرأة انيقة في الخمسين من عمرها تقريباً، فقالت على الفور:

«عذراً يا آنسة هويل، لكنني لا استطيع منع نفسي عن القول انك رائعة

جداً».

ابتسمت بروك بحياء وتابعت طريقها نحو الباب، ثم توقفت لتقول:

«لم اقصد ان ابدو بهذا الشكل».

قاطعتها السيدة الخمسينية باستغراب:

«وما المانع؟ انك رائعة فعلاً، والفستان مناسب لك تماماً».

شكرتها بروك بلطف:

«اشكرك كثيراً. انني اسمع اصواتاً في الداخل، واعتقد انه من المناسب ادخال المرطبات الآن».

وافقت مسؤولة الخدم بهزة من رأسها، ثم نادت احد الاشخاص الموجودين في المطبخ واعطته التعليمات اللازمة. تركتها بروك لشؤونها وهي تطرد من رأسها فكرة الهرب من الحفلة كلها. فالترتيبات معدة من اجل لويز، والمدعوون كلهم من الطراز الذي ترتاح اليه سيدة البيت الكبيرة. فهم من علية القوم والعوائل العريقة. . . باستثناء بول كوربللي الذي يبدو في هذا الجو وكأنه كائن غريب هبط من الفضاء الخارجي لتوه.

واخيراً وصلت بروك الى مدخل القاعة وهي على اتم الاستعداد لكل الاحتمالات.

حلت الساعة التاسعة والنصف بدون ان يظهر بول كوربللي، فبدأت اعصاب لويز تتوتر، مما اثر على جمالها الهش اساساً. ومع ان باتريك لم يتركها للحظة الا ان عينيها ظلتا معلقتين في المدخل الكبير المطل على الحديقة الامامية المترامية الاطراف بانتظار ان يدخل كوربللي مثل النمر كما يحلو لبروك ان تصفه. كما ظلت ليليان تتطلع نحو المدخل بين الفينة والاخرى وكأنها تريد ان تعلن بنفسها وصول نجم الحفلة بلا منازع. . .

لكن كوربللي لم يظهر بعد.

لم تهتم بروك بغياب كوربللي، بل واصلت التصرف الطبيعي في مثل هذه المناسبة. كان البيت مناسباً للحفلات الكبيرة، وقد توزع المدعوون على حلقات لتبادل الطرائف والاخبار والشائعات وغيرها من الثرثرات المعهودة بين افراد الطبقات العليا من المجتمع الاسترالي العريق. كلهم يعرفون ان لويز معروضة في المزاد العلني، وبالطبع لم يتركوا المناسبة تمر بدون تعليق. فاصحاب وينترسويت يعيشون الآن في الوقت الضائع، ولا

شك ان المدققين من المدعوين لاحظوا غياب بعض التحف الثمينة من القاعة الرئيسية.

والغريب ان بروك وجدت نفسها محاصرة من قبل نيجل والتلينغ الذي يعتبر احد المعجبين بلويز. فقد دعاها عدة مرات للرقص، ولم يترك فرصة الا واستغلها للانفراد بها والتمتع برفقتها. واخيراً انتقلا الى الشرفة التي ازدادت سحراً في ضوء القمر البدر في تلك الليلة.

قال نيجل هامساً:

«انني لا امزح. انت صارخة الجمال هذه الليلة، وكأنك خارجة لتوك من مجلة للجمال والاناقة».

ابتسمت بروك:

«انا سعيدة لان جهدي لم يذهب سدى».

وفجأة جذبها نحوه بشدة وقال:

«بروك، لماذا لا نغادر هذه الحفلة فوراً؟».

نظرت اليه بحدة وتساءلت:

«غريب. كنت اعتقد انك صديق شقيقتي لويز؟».

«انني سعيد بوجودي معك. دائماً كنت اقول انك جذابة وفاتنة. انت ساحرة بشكل لا يمكن ان تجاريه لويز. ولسوء الحظ، هذه الحفلة غير مجدية، اذ لا اعتقد ان كوريلي سيحضرها».

جاهدت بروك كي يبدو كلامها طبيعياً:

«وحتى اذا لم يحضر؟».

اجابها نيجل بحدة:

«عندها ستعرف ماذا في رأس امك».

شعرت بروك باشمئزاز من كلامه، فابتعدت عنه قائلة:

«اسمعني جيداً يا نيجل».

قاطعها بحركة من يده:

«اصمتي. ليس الآن». واشار نحو عدة اشخاص استرعى انتباههم صوت بروك المرتفع، ثم قال متابعاً: «انني آسف لما قلت. ان احداً منا لا يلومها على مخططاتها. لكنني اعتقد انه غير مهتم بلويز، والسبب واضح. فهي جميلة جداً وصافية جداً لكنها لا تملك شخصية مميزة تجذب

الآخرين».

واجهته بروك بغضب:

«انها مناسبة لك على ما اعتقد».

«رويدك ايتها الجميلة، انا لست كوريلي حتى تثوري ضدي. لقد لاحظت من قبل حدة اعصابك، لكنني لم اكن اتصور ان الغضب جزء من شخصيتك».

هزت بروك كتفيها بلا مبالاة وقالت:

«اعتقد ان لويز لطيفة جداً، بحيث لا يستحقها كوريلي».

وافق نيجل على كلامها:

«وانا اعتقد ذلك ايضاً. لكن الحفلة اقيمت لتحقيق التقارب بينهما. اقصد ان الحفلة رائعة، والبيت ساحر، والجهد الذي بذل كبير، لكن هل يكفي ذلك للفت انتباه كوريلي وتشجيعه على امتلاك البيت؟». ابتسم ساخراً قبل ان يتابع: «انت تفهمين ما اعنيه! ويظهر لي انك تقدمين كل التضحيات من اجل العائلة».

ارادت بروك ان تغير دفة الحديث، فقالت:

«البيوت الكبيرة تحتاج الى جهد ضخم».

«لماذا لا تبيعونه اذن؟».

تنهدت بروك ببطء:

«لا تستطيع ان ترى اسم وينترسويت مرتبطاً بأي اسم خارج العائلة».

ردّ نيجل بتنهيدة مماثلة:

«صحيح. لكن لا فائدة من ان تعلق لويز اي امل بالنسبة لي. انا ناجح في اعمالي، غير انني لست من مستوى بيت مؤلف من اربعين غرفة على الاقل. فمثل هذه البيوت باتت خارج التاريخ الآن».

خيّم الحزن على عيني بروك الخضراوين وهي تقول:

«انني اهتم بالبيت، واريده ان يظل في العائلة».

ثم لاحظت ان نيجل ما زال ملتصقاً بها، فقالت بجفاء وهي تبتعد عنه:

«لا اظن انك ستتحول من اختي اليّ؟».

اجابها بجدية:

«كنت اراقبك دائماً يا بروك، دون ان تلاحظيني. من السهل القاء الكلام المعسول تجاه لويز التي تحب الاطراء كثيراً. . . اما انت، فتبدين وكأنك من عالم آخر مختلف».

تساءلت باستغراب شديد:

«ولماذا يا نيجل، لماذا؟».

«احتاج الى عدة دقائق فقط لاقناعك».

كان يتكلم بنعومة وكأنه يهمس. لكن بروك صممت على الابتعاد عنه ووضع حد لاغرائه. وعندما حاول ان يداعب خدها بيده، ابعدت رأسها بقوة قائلة:

«لا!».

بات صوته اكثر حدة وحركاته اكثر قوة وهو يقول:

«يا لك من قطة متوحشة. . . ساحرة».

لاحظت بروك انه يحاول اخذها الى مكان منعزل، فقالت:

«هيا بنا الى الداخل».

«الا تثقين بي؟».

نظرت اليه مباشرة بعينين ملؤهما التحدي:

«كلا».

«تذكري انني الصديق العزيز نيجل، وليس النمر المتوحش كوريللي؟ ألم تلاحظي طريقته في السير وكأنه وحش هارب من الغابة؟ لا شك انه يحوز على اعجابك أليس كذلك؟».

وقفت بروك في مكانها مندهشة بشكل لا يصدق:

«لا اظنني سمعت ما قلت بوضوح».

رفع نيجل يديه وكأنه يستغرب دهشتها، ثم نظر اليها بتحد وقال:

«الا يحوز اعجابك فعلا؟».

تحولت دهشتها الى ثورة عارمة مدمرة:

«لم اسمع في حياتي اسخف من هذا الكلام.. فالذي اعرفه عن السيد كوريللي انني غير معجبة به اطلاقاً».

وفي موجة الغضب العارمة، لم تلحظ بروك نظرات نيجل الشاردة التي راحت تحدق في شيء ما خلفها. . . وعندما استدارت بعد لحظات وجدت

بول كوريللي واقفاً هناك وكأنه يستمتع بالحديث الذي سمعه قبل قليل.

قال لها بصوته العميق:

«ارجوك اكملي حديثك، فأنا احب ان استمع الى رأيك المحترم».

كانت لويز تقف الى جانبه شاحبة الوجه، فتدخلت قائلة:

«كيف يمكنك اطلاق هذه الاقوال يا بروك».

خفق قلب بروك بشدة من فعل المفاجأة، لكنها استعادت رباطة جأشها وسلمت على كوريللي قائلة بصوت عذب:

«أنا متأكدة بأن السيد كوريللي لا يتأثر بمثل هذه العبارات».

«انني غير مبال بالاهانات يا آنسة».

كان يتكلم بصلابة وغرور كعادته دائماً. ولو ان الحادث وقع مع رجل آخر، لشعرت بروك بالاحراج العميق. لكن بوجود كوريللي نفسه، فان التحدي المتبادل والعداء السافر جعلاها تأخذ موقفاً حازماً لوضعه في مكانه الصحيح، حتى وان كان يبدو كوحش خارج من غابة.

بدا على لويز الاضطراب الشديد وكاد ان يغمى عليها وهي تقول بالحاح:

«اقترح عليك الاعتذار من السيد كوريللي، والا فان امي ستغضب كثيراً».

اعترضت بروك وقد زادت مشاعر التحدي والكبرياء من نفسها:

«لا استطيع الاعتذار. ولا يمكن للسيد كوريللي ان يحصل على كل ما يريد بسهولة».

رد عليها بكسل:

«ساحصل على كل ما اريد. . .».

قالت لويز والألم يعتصرها:

«يسعدني انك صبور يا بول. ففي بعض الاحيان، تكون بروك غير معقولة».

همس قائلا وعيناه تتجولان فوق وجه بروك وفستانها:

«يجب ان اعترف بأن الزمن الذي كانت فيه الفتيات الصغيرات يظهرن بدون ان يتكلمن. . . كان زمناً افضل».

احست بروك بموجة عارمة من الغضب تجتاحها للحظات. كيف يمكنه

ان يعتبرها فتاة صغيرة، وكأنه يعرف كل شيء عنها؟ قالت:
«اذا كنت راغباً في الرقص، فارجو الا تدعنا نؤخرك عن ذلك؟».
اجابها بسخرية واضحة:
«انه لشرف عظيم لي».
وقبل ان تعي ما يجري، كان كوريللي يضمها الى صدره بلطف، ثم التفت الى لويز قائلاً:
«لا تغضبي يا عزيزتي. فشقيقتك الصغرى لا تزعجني ابداً. فأنا اعتقد دائماً ان الفتيات ذوات الشعر الاحمر يملكن السنة سليطة وقاسية».
سأل نيجل لويز عما اذا كانت راغبة في الرقص، ولما لم تعطه جواباً امسك ذراعها بحزم وقال:
«هيا نرقص يا لويز».
سارت لويز مع نيجل وكأنها منومة مغناطيسياً، وعيناها تتابعان بروك وكوريللي. . . تماماً كما تفعل معظم عيون الحاضرين. ويبدو ان بروك كانت مستمتعة بهذا الجو، لذلك قالت بلطف:
«هل من الضروري ان تؤذيني لمجرد كلمة اطلقتها عرضاً ولم اكن اقصدها؟».
نظر كوريللي اليها ملياً ثم قال مبتسماً:
«اريد ان اؤكد لك شيئاً يا آنسة. كم اتمنى لو اؤذيك فعلاً، لكنني لن افعل ذلك الآن».
رفعت رأسها نحوه، واغتصبت ابتسامة في محاولة لكسر حدة التوتر:
«نحن سعيدون لانك استطعت الحضور الليلة».
«انت لا تتوقعين مني جواباً، اليس كذلك؟».
كانا في هذه الاثناء قد احتلا وسط الساحة على وقع انغام موسيقية حالمة.
ثم قال:
«وارتاحي. اجل، هكذا افضل. يجب ان تتعلم المرأة كيف تسلم امرها للرجل».
التقت عيناها الخضراوان بعينيه السوداوين الحادتين وقالت:
«كم ان افكارك ممتازة يا سيد كوريللي».

«يسعدني ان اراك على حقيقتك يا آنسة. فدائماً كنت اعرف اي طراز من النساء انت».
بدأت تشعر بالاضطراب من جراء وجودها الى جانبه، واحست بحمرة الخجل تلون خديها، فقالت:
«حقاً انني لا افهمك».
رفع حاجبيه استغراباً:
«فعلاً؟ منظرك الليلة يبدو وكأنك امرأة جاءت تصطاد كل الرجال».
انفجرت غاضبة:
«بالطبع لا. وانا اعرف تماماً موقفك مني مسبقاً».
تحداها بابتسامة ساخرة:
«هيا اخبريني».
«لست مضطرة لذلك، فهذه المشاعر متبادلة عادة».
«واية مشاعر؟».
«دعك من هذه الامور الآن».
رفعت عينيها الى وجهه مباشرة، فصدمتها الجاذبية التي يتمتع بها هذا الرجل الايطالي الوسيم. في الماضي كانت تنظر اليه من بعيد، اما الآن فهي وجهاً لوجه مع النمر النائم.
قال لها:
«يمكنني القول ان هذه هي المرة الاولى التي تنظرين فيها اليّ مباشرة».
كانت هناك رنة سخرية واضحة في صوته، لذلك ردت بروك بقوة:
«هذا غريب حقاً. فدائماً كنت اشعر انك صديق اختي».
اجابها بلا مبالاة:
«واظن انك تصورت واتلينغ كذلك ايضاً؟».
احتقن وجهها غضباً:
«نيجل صديق لويز».
«يبدو لي انه يريد حبك انت».
«ستكون معجزة اذا ما تحقق الامر يا سيد كوريللي؟».
«حسناً، وعندها لن اضطر الى قتله».
انتظرت بروك حتى زال وقع المفاجأة عنها، امسك كوريللي يدها بلطف

وقادها عبر السلم الى الحديقة الخلفية بدون ان تستطيع رفع عينيها اليه او حتى سحب يدها منه.

قال عندما وصلا الى الحديقة:

«من المؤسف ان تكون التماثيل قد ذهبت. فالحديقة جميلة، لكن الاهمال شوه منظرها، خاصة الاعشاب والنباتات البرية التي نمت في كل مكان».

اجابته بمرارة:

«لست مضطراً لاقناعي. فالحدائق واسعة، ومن الصعب الحصول على عمال مزارعين بسعر معقول».

«معك حق طبعاً».

لم تر السخرية في عينيه، لكنها سمعتها بوضوح في صوته فقالت:

«لم يعد سراً كون عائلة اشتون تعيش في ضائقة مالية خانقة».

«يظهر انني ازعجتك بذكر هذه الامور».

«هل كنت تتوقع مني ان امزح؟».

هز رأسه الاسود بهدوء قائلا:

«لماذا تعتقدين انني قاسي القلب؟».

واصلت سيرها وهي تشعر بلسعات البرد الخفيفة:

«لقد تطلب بناء وينترسويت جهداً كبيراً ومبالغ طائلة. ولا يمكن لاحد ان يلومنا على رغبتنا في الحفاظ عليه».

«انت توافقين اذن على فكرة امك في بيع ابنتها؟».

فاجأها السؤال بحيث لم تجد وسيلة مناسبة للتعبير عن غضبها العارم، سوى ان ترفع كفها باتجاه خده العريض. لكن الصفعة لم تحدث، اذ انه امسك يدها وهي في الهواء واعادها الى مكانها بحزم قائلا:

«اهدأي ايتها الفتاة».

«عليك ان تنتبه للكلمات التي تقولها».

«يجب ان تتوقعي في مثل هذه الظروف بعض الملاحظات الجارحة».

سألته بحدة:

«ولماذا حضرت الى الحفلة؟».

شعرت بالخوف من ضعفها الشديد تجاهه، خاصة وان قبضته لم تخفف

الضغط عن يدها. ادارها نحوه بدون ان تبدي اعتراضاً وقال:

«جئت بهدف الحديث اليك».

هزت رأسها بعنف وراحت تردد كلمة «لا» بدون وعي.

قاطعها بحزم:

«لقد صممت على هذه الخطوة منذ مدة طويلة».

«اذا كان الامر يتعلق بلويز فعليك ان تبحثه مع امي».

«لويز جميلة جداً، لكنها غير مناسبة لخططي».

«مهما كانت هذه الخطط، فلست انوي الاستماع اليها».

«حتى اذا كنت ستتعرضين لشيء رهيب جداً؟».

«نحن في بيتي، والناس يحيطون بنا من كل جانب».

تلفتت حولها وكأنها تريد تأكيد كلامها. لكنها لاحظت انهما بعيدان عن البيت، ولا شيء يمنعه من القيام بأي تصرف طائش. فهذا الرجل معروف بانه لا يتردد في عمل كل ما يلزم لتحقيق اغراضه... ومع ذلك ستقاومه بكل ما اوتيت من قوة.

قطع عليها حبل افكارها قائلا:

«اسمحي لي ان ارافقك الى المقعد الرخامي. صحيح انه غير مريح، لكن من الافضل مناقشة الشؤون العملية جالسين».

اجلسها في المقعد وكأنها طفلة صغيرة، ثم جلس الى جانبها بكل ادب.

قالت بروك بلهفة في محاولة للخروج من هذه الورطة:

«ما هو الموضوع الذي تريد الحديث فيه؟».

«هل انت خائفة مني؟».

ردت بصوت مرتجف:

«لست خائفة».

انتظر لحظات قبل ان يقول:

«لست اعلن سراً اذ قلت ان عدداً من الناس يتوقعون ان اتزوج اختك».

وافقت بجفاء:

«هذا ليس سراً».

«وهل تفكرين مثل هؤلاء الناس ايضاً؟».

اجابته بحدة:
«على عكس معظم الناس، فأنا لست من المعجبين بك يا سيد كوريلي».
«الأمر غير مهم وغير ضروري. ولعلك تعتقدين ان تصرفاتك هذه ستفقدني اعصابي»؟.
«قلت لك من قبل ان المشاعر متبادلة».
«اعتقد انني افهم موقفك، لكنني مؤدب اكثر منك».
«من المؤسف ان لغتي الايطالية لم تعد كما كانت».
«انك بحاجة الى مترجم يا آنسة».
«انني اعرف بعض الكلمات القليلة».
قال ضاحكاً:
«انها لا تكفي للتعبير عما في نفسك».
«معك حق...» ثم وقفت استعداداً للرحيل، لكن يده القوية اعادتها الى مكانها بلطف... لكن بحزم.
«دعينا ندخل في الموضوع. انا على استعداد للحديث في الشيء الوحيد الذي يهمك... مستقبل البيت».
انفجرت وقد عيل صبرها:
«ولماذا تريد اثارة هذا الموضوع؟».
«لو تسكتين قليلا لاخبرتك المزيد. من المؤسف انك غير قادرة على ضبط لسانك».
«من الطبيعي والضروري ان نطرح الاسئلة».
اجابها بجفاء:
«ليس في كل الأوقات. انت وانا نعرف ان امك على استعداد للمغامرة بكل شيء في سبيل تزويج واحدة من ابنتيها الى رجل ثري يتولى الاهتمام بالبيت».
قالت باشمئزاز:
«انك تثير استيائي يا سيد كوريلي».
«دعك من هذه الكلمات يا آنسة، فانت تعرفين انني ايطالي. من المعروف ان الزواج مسألة هامة جداً، وعلى المرء ان يفكر جيداً. لعلي

اعطيت انطباعاً للناس بانني اريد الزواج من اختك الجميلة... لكنني في الواقع اريد ان اطلب يدك انت».
انعقد لسان بروك خوفاً ودهشة، وصرخت:
«سيغمى عليّ فوراً».
امسك رأسها بقوة واحناها الى الامام قائلا:
«لن يغمى عليك. تنفسي... تنفسي... وسوف يزول الشعور سريعاً».
ومن الغريب ان لمسة يده استطاعت ان تعيد اليها هدوءها. وبعد لحظات قال:
«ليس ما قلت عرضاً عاطفياً يا آنسة، فقط عقد عمل بيننا... وأؤكد لك انه لن يكون سيئاً الى هذا الحد».
«ارجوك تمهل قليلا يا سيد كوريلي».
قال بهدوء:
«انني بالانتظار».
اجابت بانفاس متقطعة:
«قد تحدث مثل هذه الامور في ايطاليا، لكننا هنا اكثر تقدماً ووعياً».
«تقصدين ان نسبة الطلاق عندكم اكبر؟ على عكس ما يعتقد الناس، نحن لسنا شعباً عاطفياً. المال بالنسبة لنا شيء مهم، ومن الافضل الزواج بمن يملك وليس بمن لا يملك. أنت ايضاً مسؤولة عن عائلتك، فامك واختك رائعتان، لكنهما غير فاعلتين، وليس من المناسب رؤيتهما وهما تصارعان المستحيل. لويز لا تعرف كيف تتدبر امورها، انها جميلة مثل ميدالية ذهبية يعلقها المرء في عنقه... فقط. اي انها للحفظ في الخزائن المذهبة».
لم تستطع بروك الرد، لان الحقيقة كانت واضحة ولا يمكن تجاهلها. ولعل وجودها هو المنقذ للعائلة باسرها. قالت:
«وكيف اختلف انا عنها؟».
لاحظت بروك لمعاناً خاطفاً في عينيه عندما اجاب قائلا:
«اولا، انت تملكين الشجاعة والقوة... ومن المحتمل العقل ايضاً».
«شكراً لك على هذا الاطراء. انني اؤكد ان لويز تملك عقلا عاقلا».

«لا شك في ذلك، لكنني لم ار الكثير منه. انا اقدر دفاعك عن اختك... بالنسبة لي الامر مقرر سلفاً».

كان يبدو واثقاً من كل كلمة يقولها، وكأنه اعتاد ان يأمر فيطاع ابداً.

هبت بروك واقفة وصرخت بحدة:

«لا اريد ان اسمع المزيد. ولا استطيع ان آخذ كلامك على محمل الجد».

سألها بدون ان يبالي بتصرفاتها:

«ولماذا لا؟».

هدأت قليلا واجابت:

«لعل اقتراحك يحمل حلا بالنسبة للآخرين، اما بالنسبة لي يا سيد كوريللي فانا قادرة على العمل».

قال بلطف:

«لا شك في ذلك. لكن اياك ان تنسي ان امك تبحث عن عريس لابنتها».

«امي ستصاب بصدمة كبيرة اذا عرفت العرض الذي قدمته لي. بل ماذا سيحدث للويز؟ المسكينة، لماذا اعطيتها املا كاذباً منذ البداية؟».

رد عليها بحدة وقد بدأ صبره ينفد:

«اسئلة... اسئلة. قد تفاجأين اذا قلت لك انني لم اشجع اختك ابداً. فهي مجرد طفل بحاجة لمن يهدهد».

جاهدت بروك لابقاء صوتها خفيضاً:

«انك رجل مستحيل. لاجلك فقط اقامت امي هذه الحفلة الغريبة».

«ايتها المسكينة، انك تحملين حباً كبيراً بين ضلوعك».

«انا متأسفة لم افهم ما قصدت».

«انت تؤذين امك واختك... وتؤذين نفسك ايضاً. تزوجيني وستعود كل الامور الى طبيعتها».

اغلقت عينيها والألم يعتصرها:

«قد توافق لويز فوراً على هذا العرض المغري. اما جوابي انا فهو الرفض الكامل».

وقف امامها واضعاً يديه على كتفيها وهي جالسة، وقال:

«يؤسفني انني لا اقبل جواباً بالرفض. وانا متأكد انك ستفكرين في الموضوع اكثر، وتوازنين الامور بعقلك الراجح. وعلى أساس اتفاقيتنا، سأعيد ويترسويت الى سابق عهده. فأنا اعرف التحف التي بيعت منه، واعرف اين هي الآن. لا اعدك بان اقبل امك واختك معنا، بل سأفعل ما بوسعي لأؤمن لهما حياة لائقة، بحيث لا تضطر لويز لان تعرض نفسها مجددا امام الاثرياء الطامعين بالزواج. اعرف ان امك تثور لاتفه الاسباب في احيان كثيرة، لكنني سأكون حازماً وسريعاً في الدفاع عن زوجتي».

قالت بصعوبة:

«حقاً انك مثل النمر. لا اصدق انك كنت تلاحقني طيلة هذه الفترة».

«لم يكن من الضروري ان اخيفك باكراً... فقد كنت اساساً ترتجفين مثل ورقة شجر في مهب الريح».

نهضت واقفة في مواجهته:

«ابداً لم اكن خائفة. هل تقصد انك تحبني؟».

«طبعاً لا ايتها الآنسة. انا لست مغفلاً، والحب بالنسبة لي صعب. انني اريد امرأة تحب البيت، وتقبل عندما يحين الوقت ان تنجب لي ابناً... فانا لا اريد ان اكون نهاية عائلتي».

ردت بروك في محاولة لايذائه:

«هذا الحلم المستحيل».

ضغط كوريللي باصابعه على كتفيها قائلا:

«لقد حصلت على ما فيه الكفاية من الثراء والدلال بحيث تشوهت شخصيتك. لعلك تقصدين انني اعرف من انا... وانني لست الا ذلك الولد الفقير الذي كنته في الماضي».

وجدت بروك نفسها تعتذر قائلة:

«انا آسفة. لم اقصد ان اكون قاسية الى هذا الحد، لكنك بادرت في القسوة. حتى وان كانت امي تريد ان تزوج احدانا من اجل انقاذ ويترسويت، فمن الواضح انني لا يمكن ان اتزوج بدون حب؟ اي نوع من الحب».

اجابها بجفاء:

«سوف تشعرين بالحب. فمن خلال الطريقة التي ترتجفين فيها بين

بدي، استطيع القول انك تحسين شيئاً نحوي. اعرف انه من الصعب عليك الاعتراف بالحقيقة، لذلك تقفين بصمت تحدقين بي. الست تنتظرين حدوث شيء لك؟ ماذا تريدين من الحياة؟».

قالت بشراسة:

«لا اريدك انت».

«دعيني انهي كلامي. لا شك عندي القدرة على ايقاعك بحبي اذا اردت. بل واستطيع جعلك ترتجفين من الفرح مثل اختك تماماً».

صاحت بصوت اقرب الى الزعيق:

«لا استطيع ابداً».

تابع قائلاً:

«المهم. انت مجرد مخلوقة عنيدة. فتاة في سن الحادية والعشرين كما اعتقد؟ رفع ذقنها الى الاعلى ومضى يقول: «سوف نجرب هذا الزواج. وبالتالي يعود لك بيتك العزيز كما اردت، وتستطيع اختك وامك السفر الى حيث ما تريدان. واعتقد ان ايا منهما، مهما كان حبها لوينتر سويت، لا ترغب في البقاء بالبيت».

رفعت بروك رأسها نحو السماء:

«آه.. ساعدني يا الهي. لا استطيع تحمل المزيد».

تقلصت عضلات وجهه وهو يقول:

«انت تتصرفين بسخافة. هل يخيفك التفكير بالزواج الى هذا الحد؟».

ردت بعنف مماثل:

«ببساطة، انت لا تفهم هذه الامور. واعتقد يا سيد كوريللي انك انسان غريب وغير طبيعي».

اجابها بحدة:

«اسمي بول. فانت لا تعرفين مدى الصعوبة التي اواجهها عند محاولة النطق باسمك. اليس عندك اسم آخر غيره؟ اسم اجمل واسهل على اللسان؟».

خرجت الكلمات من فمها نارية الوقع:

«انا متأسفة. وطالما اننا لن نتزوج، فالمسألة غير مهمة اطلاقاً».

ترددت للحظات قبل ان تتابع في محاولة للهرب منه: «يجب ان نعود الى

الحفلة الآن. اعتقد ان الجميع لاحظوا غيابنا الطويل».

وافق بجفاء:

«صحيح تماماً. اعطني جوابك وسنعود فوراً».

ردت بحزم:

«انا متأسفة يا سيد كوريللي. انني اريد علاقة حب جارفة، وليس زواج منفعة يقرر بهدوء وتؤدة».

«وهذا يمكن ان يحدث، فانت جذابة وجميلة ايضاً».

خفف كوريللي ضغط اصابعه عن كتفيها، لكن نظراتهما ظلت معلقة ببعضها عدة لحظات... الى ان ابعدت بروك عينيها عنه هرباً من اللمعان الغريب الذي يشع من عينيه.

عاد كوريللي الى الحديث بهدوء:

«من مصلحتك الزواج. فكل واحد منا يملك شيئاً يريده الآخر. انت تشعرين بالتوتر والخوف الآن، وهذا سيزول بعد قليل. الزواج سيبقي البيت القديم في العائلة، ولعله يصبح يوماً ما ملكاً لابنك».

قالت بصوت ضعيف:

«ابني... لكن ليس منك».

«عواطفك ستتغير حكماً، واتعهد لك انني لن اجبرك على شيء. وعلى كل، ليس من الضروري ان تنجبي لي وريثاً قبل سنة او سنتين على الاقل».

انفجرت بوجهه صارخة:

«اوقف هذا الكلام فوراً، فانا اسمع طنيناً مرعباً في اذني. انني ادرك ان الزواج سيحل عدداً من المشاكل، لكن الفكرة مجنونة من اساسها. بل لن يكون الزواج الا بالاسم فقط».

سألها بجفاء:

«وهل يناسبك ذلك الامر؟».

«طبعاً، طالما انني اشترى وابَاع».

قال بنعومة:

«اقتراحي عليك لا يعتبر مهيناً يا آنسة، ومن الغباء ان ترفضيني. وبعيداً عن عواطف غضبك وعادتك في الثرثرة، فانك قد تركت الرأ

جيداً عليّ. انا لا امانع في ان تتزوجيني من اجل ثروتي، لكنني رجل احصل على ما اريد دائماً. وعندما تكونين جاهزة، ستصبحين زوجتي وشريكة حياتي، ومهما كان، فانا اعتقد انك امرأة عاطفية، او ستكونين كذلك عندما اعلمك الحب».

سألته بقسوة وسخرية:

«هل انت متأكد من معرفتك للحب؟».

حدّق فيها مطولا وقال:

«انك تمزحين ولا شك؟ هل تريدينني ان ابدأ الآن؟».

قالت بتهكم وهي تبتعد عنه:

«اعتقد انك قادر على كل شيء. جوابي هو الرفض يا سيد كوريللي، ولن اغير موقفي. والافضل لك ان تشتري لويز، فهي قابلة للانقياد اكثر مني».

ضحك بهدوء وكأنه يستمتع بلعبته معها، وقال:

«فكري في الاقتراح ايتها الطفلة المدللة. فانا اكره ان اخسرك».

«ارجوك دعنا نعود الى البيت؟».

«اعتقد ان امك واختك لن ترحبا بقرار الرفض الذي اعطيتني اياه».

همست بسرعة:

«اولا، يجب ان تتجاوزا الصدمة. فكل خطط امي كانت مركزة حول لويز».

قال بقسوة:

«يؤسفني ان لويز لا تثير اهتمامي في هذا المجال. فانا ابحث عن عروس، لا اكثر ولا اقل. ليس عندي رغبة بالخوض في متاهات الحب، لكنني اكون كاذباً اذا قلت انني غير منجذب اليك، ففي فستانك هذا ومكياجك الخاص الذي وضعته للحفلة، تبدين اجمل بكثير من لويز. كما وانك تملكين العاطفة الصادقة والقدرة على الاحساس بالآخرين. ويجب ان اخبرك الآن عن شيء آخر اطلبه منك اذا وافقت على الزواج مني».

خفق قلب بروك بشدة توقعاً للمفاجأة الجديدة، لكنها استدارت نحوه بهدوء قائلة:

«اي شيء آخر لن يكون اغرب من طلبك الاول».

«ربما!» ثم حدق في عينيها بشدة وقال: عندي ابنة اريد منك شخصياً ان تدخليها الى دوائر المجتمع الراقي».

صعقت بروك، وصرخت:

«ابنة؟ اذن انت متزوج من قبل؟».

ظل كوريللي هادئاً وهو يقول:

«لم اقل انني متزوج. ابنتي هي نتيجة علاقة عابرة عرفتها في الماضي البعيد، وهي تعيش الآن مع شقيقتي في كينيا. ولكن ما ان نتزوج، سيصبح من الطبيعي ان احضرها الى هنا. لقد تحملت الكثير بعيداً عني، وكنت مضطراً لذلك بسبب اعمالي الكثيرة. اما الآن، فأنا قادر على الزواج من شابة اجتماعية جميلة، وهكذا ستنضم لوسيا الينا... وبوسعك مساعدتها كثيراً».

ادركت بروك الدور الذي يريدها ان تلعبه، فسألت:

«كم يبلغ عمر هذه الطفلة؟».

اجابها بدون ان يرفع عينيه عنها:

«ست عشرة سنة».

حدقت بروك في وجهه وكأنها لا تصدق ان الشخص الذي يقف امامها يمكن ان تكون لديه ابنة تبلغ السادسة عشرة من العمر... وصاحت:

«غير معقول. لا اصدق ذلك! لا شك انك كنت فتياً في ذلك الوقت».

صحح كلامها مبتسماً:

«كنت شاباً... ولم تكن تلك اول مغامرة لي مع الأسف».

اخذت بروك نفساً عميقاً، متظاهرة بانها تفكر بكلامه ثم قالت:

«لا غرابة في انك تفكر في الزواج وكأنه شأن عملي فقط. ولا شك بانك لا تحمل اي اعتبار للرباط المقدس».

ضحك بخفة وقال:

«ربما افعل. فهناك نوع من النساء يستحق ان يضحي الرجل بالغالي والنفيس من اجلهن».

«واين هي هذه المرأة؟ وهل التقيت بها من قبل؟».

«اتمنى صادقاً لو فعلت، والأرجح ان مثل هذه المرأة غير موجودة».

«اذن اقترح عليك ان تنتظر بعد. لعلك تستطيع ان تجد من هي افضل

منيّ».

«على العكس. لقد سئمت من البطاقات البريدية كوسيلة اتصال وحيدة مع ابنتي. اريدها معي، تحت اشرافي المباشر. واريد ان أؤمن لها افضل حياة ممكنة».

استطاعت بروك ان تتكلم بصعوبة:

«واظنك تدرك انني لست في السن المناسبة التي تؤهلني للعب دور الأم، المربية».

«لكنك ستنجبين لي ابناً. فأنا لم اجاهد طيلة حياتي عبثاً. لقد بلغت الخامسة والثلاثين، واريد ان استقر في بيت وعائلة. والحقيقة ان هذه الفكرة تطاردني بالحاح».

قالت بهدوء ولطف هذه المرة:

«انني اقدر موقفك يا سيد كوريللي، لكن لا تطلب مني ان اشاركك فيه.

انا انوي ان افكّر ملياً في ما اذا كنت راغبة في الزواج ام لا».

اجابها بهدوء مماثل:

«تلفتي حولك! بيتكم سيتحول الى خراب اذا لم يتقدم منكم رجل ثري... وبأسرع ما يمكن. لن تكون هناك عروض سخية دائماً. ربما جاءت بعض شركات المقاولات وهدمت البيت من اساسه، لبناء شقق حديثة مكانه، ولن تكون الحياة بعد ذلك طبيعية بالنسبة لامك، حتى لو تزوجت اختك رجلا مناسباً لها».

قالت بروك والغضب المكتوم يعتمل في نفسها:

«... وهذا ما ستفعله فعلاً».

«اشك في ان يقبل عريس اختك المقبل، بقاء امك معه».

رفعت رأسها وقد ازعجها اسلوبه التهكمي الساخر في تناول شؤونها العائلية الخاصة، وقالت:

«الا تخطط أنت أيضاً لاجلائها عن البيت؟».

«لقد اخبرتك تماماً ما انوي ان افعله... فقط استمعي ولو لمرة واحدة. ستكون أمك حرة في قضاء حياتها كيفما ارادت واينما ارادت، وحرة في زيارة بيتها القديم بين الحين والآخر... وأنت ايضاً حرة في اختيار الوقت

المناسب الذي تريدين ان تصبحي فيه زوجتي».

«وهذا الوقت لن يكون ابداً».

«حان وقت العودة الى البيت».

ودون ان ينتظر جوابها، اخذها من ذراعها وقادها باتجاه البيت حيث الموسيقى الصاخبة تصدح، والاضواء تنير الغرف وتلقي ظلالها على الحدائق المترامية. وكان من الواضح لبروك ان كوريللي مصمم على تنفيذ الامور كما يريد، وانه قادر فعلا على ذلك. وتذكرت كيف كان الامر وهي بين ذراعيه تستمع الى خططه وافكاره لمستقبلهما معاً، فشعرت بمزيج متضارب من الاثارة والتوتر واللهفة والغضب. ليس بول كوريللي الرجل المناسب لتتورط عاطفياً معه، الم تقل هي نفسها انه من طراز الرجال الذين يجعلون المرأة تقاسي وتتألم؟ ان مشاعره نارية مدمرة، وان كانت اعصابه باردة وعقله عملياً وهادئاً. وبالاضافة الى ذلك هناك ابنة. والظاهر ان احداً لا يعرف هذه القصة، حتى ولا لويز نفسها. لا شك انه من النوع المغامر، وهو يحاول الآن ان يحرقها في تياره العميق. وعندما وصلا الى الشرفة، ظهرت ليليان صدفة. فاسرعت الام عندما رأتهما الى اخذ ذراع كوريللي وقادته الى الداخل بسرعة، وهي توجه نظرات تحمل العديد من المعاني نحو ابنتها الصغرى. وكالعادة، تركت بروك امها تتكلم كما يحلو لها بعد ان تركت ضيفها العزيز في الداخل وخرجت اليها مجدداً. فليليان تشعر بالانزعاج لان ابنتها الصغرى حاولت الاستئثار باهتمام كوريللي معظم السهرة. ولكنها تنتظر اللحظة المناسبة لتفجير غضبها... وعندها ستجد بروك نفسها مضطرة لسرد القصة من اولها الى آخرها. فكيف ستستقبل الأم قرار كوريللي بالزواج من بروك وليس لويز؟ لا شك انها ستجد صعوبة بالغة... ولكن هل تلوم بروك على ذلك؟ هل تستطيع ان تفهم اسلوب الايطالي القاسي في الحصول على ما يريد؟

عبر القاعة الغاصة بالراقصين، لمحت بروك وجه شقيقتها لويز. كان بول كوريللي الى جانبها، وهي تنظر اليه باعجاب ممزوج بالخوف. انها لا يمكن حتى ان تتخيل ان الرجل الواقف الى جانبها قد طلب يد شقيقتها قبل دقائق قليلة فقط. كل شيء من اجل لويز: الحفلات، الورود، والملابس الزاهية. ودائماً كانت الأم تتولى الاهتمام بشؤون الاخت الكبرى

وشجونها. وبدلا من ان تقبلها بارتياح، ها هي ترميها نحو بول كوربللي الجذاب والقاسي في ان واحد. قد تكون بروك مضطربة وضعيفة الآن، لكنها ستجاهد كي لا تنفرد بكوربللي مرة أخرى هذه الليلة.

فجأة احست بيد تمسك ذراعها، فالتفتت لتجد نيجل بجانبها وهو يقول:

«السماء وحدها انقذتك من امك يا عزيزتي. اختاري اي شاب تريدين... لكن اياك وكوربللي».

ابتسمت ملء شفتيها وعيناها تلتمعان ببريق غريب:

«لعله هو الذي اختارني».

«انها الحقيقة. دائماً كنت اقول ان امك واختك لم تقدراك حق قدرك. هل تهتمين بالمسكينة لويز الآن؟ يبدو انها بحاجة لمن يقف الى جانبها في هذه المحنة، فهي تنظر اليه بشكل يدعو للرثاء. والآن، حدثيني ايتها العزيزة عما دار بينك وبينه».

هزت بروك رأسها بنفاد صبر:

«احاديث مختلفة. ارجوك، لا اريد ان اسمع اسم كوربللي مجدداً، فلقد سمعت ما فيه الكفاية».

قال نيجل في محاولة لتلميع صورته:

«انه لا يستحق كل هذا الاهتمام. الم يحن موعد العشاء بعد... اني جائع جداً؟».

وضع نيجل ذراعه حول كتفي بروك واتجه معها الى مائدة المرطبات، حيث قدم لها شراباً منعشاً وتناول آخر لنفسه. وكم كانت دهشته كبيرة عندما شربت بروك كأسها دفعة واحدة. فهذه هي المرة الأولى التي يراها تفعل ذلك... والظاهر انها بدأت تتغير بدون ان تدري، وفي اكثر من مجال.

٣ - لن اتزوجك!

اقتحمت ليليان غرفة بروك وبرفقتها لويز التي ظهرت على وجنتيها آثار الدموع على خلفية من الماكياج المتموج.

واجهتها بروك بالاعتراض قائلة:

«انها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تقريباً».

قالت لويز بتردد:

«امي».

قاطعتها ليليان بحدة:

«اتركي الأمور لي. لن يوقفني شيء الآن عن قول ما جئت لاقوله».

سألتها بروك باقتضاب:

«هل جئت لتقولي انني اسأت الى سمعتي في الحفلة؟».

وفجأة انفجرت لويز باكية، فاستدارت ليليان نحوها تواسيها واجلستها في اقرب مقعد وهي تلامس شعرها بحنو ولطف.

قالت لويز:

«ارجوك، لا تغضبي مني يا امي».

«لا يمكن ان اغضب منك ابدا يا حبيبتي».

تدخلت بروك قائلة دون ان تغادر سريرها:

«استمعا الي. انني منهكة القوى... فهيا قولا ما تريدان قوله. ما الذي جعل لويز حزينة الى هذا الحد؟».

استدارت ليليان تجاه ابنتها الصغرى:

«لقد تركت انطباعاً مميزاً هذه الليلة يا آنسة. فالفستان كان مناسباً تماماً

للخطط التي وضعتها. . . هذا الى جانب الأموال التي صرفتها عليه».

قالت بروك بلهجة ساخرة اعتادت على مواجهة غضب امها بها:

«اطرقي الموضوع مباشرة يا امي».

ردت ليليان وانفاسها تكاد تتقطع:

«الموضوع انك لا تبالين ابداً بشقيقتك. بل لا تريدينها ان تتزوج».

«ما هذا الكلام السخيف. إنها سعيدة كما هي الآن».

نظرت لويز الى شقيقتها شذراً، فبدت وكأنها صورة مصغرة عن امها، وقالت:

«لماذا غادرت الحفلة انت وبول؟».

تنهدت بروك وكأن خنجراً طعنها في القلب:

«الحقيقة انني لم اذهب معه يا عزيزتي. بل هو الذي ذهب معي».

صرخت ليليان بحدة:

«وهل تريديننا ان نصدق هذا الادعاء السخيف؟».

جاهدت بروك كي تحافظ على اعصابها:

«انه رجل غريب للغاية. لن اشغل فكرك حوله كثيراً. . . فهو قد ازعجني جداً».

اجابتها لويز:

«دعيني اقرر ذلك بنفسي. المسألة كلها انك تغارين مني».

قالت بروك بلامبالاة:

«يجب ان تلام امك على ذلك يا عزيزتي، فهي التي وضعت هذه الافكار في رأسك. ومن ناحية اخرى، الم تلاحظي نظرات الرجال الى هذه الليلة؟ لقد كنت جذابة ومثيرة اكثر من اي امرأة اخرى».

ردت لويز بألم:

«من الواضح ان نيجل تصرف معك على هذا الأساس».

انتفضت ليليان وهي تقول:

«لسنا هنا للحديث عن نيجل، ولست مستعدة لاهدار وقتي واعصابي في النقاش حوله. لقد احب لويز طوال حياته. . . ومع ذلك، هل لاحظت كيف كانت تصرفاته الليلة؟».

«لكن بروك هي التي اثرت فيه يا امي».

وضعت بروك يدها على فمها بعد ان داهمها التثاؤب وقالت:

«كم اتمنى لو ان السنة الجديدة تحمل لكما بعض الاحساس. لماذا لا تؤجل الحديث الى الغد، فكلنا متعبات الآن؟».

«كان من الممكن ان تكون هذه الليلة رائعة، لكنك دمرت كل شيء سعيت اليه. لن اسامحك ابداً يا بروك».

حدقت بروك في شقيقتها بتمعن وقالت:

«في بعض المرات احس وانا معك كانني اتعامل مع طفلة صغيرة من تلميذات المدرسة».

احتقن وجه لويز بالغضب وراحت يداها تهتزان بعصبية وهي تقول:

«دعونا بول خصيصاً هذه الليلة، ومع ذلك هربت به بعيداً فور وصوله الى البيت».

«لم اسر كثيراً معه ايتها العزيزة. ومهما كان، فقد اعتقله طيلة البقية الباقية من السهرة».

قالت ليليان بحدة:

«ما هذا الكلام؟ تقولين اعتقلته؟ يا لهذا العقل السخيف! لم ارك في حياتي على هذه الشاكلة. انت التي سعيت خلفه. . . لكنه لن يهتم بك ابداً، انه يريد لويز، وان كان لا يظهر اهتمامه العلني بها».

ردت بروك وهي تأخذ مقعداً مجاوراً لشقيقتها:

«اذن، الآن عرفت لماذا طلب يدي للزواج. من الصعب تصديق ذلك، اليس كذلك؟ انني اعدكما بحفظ السر عن كل الناس».

خيم صمت مطبق على كل الغرفة. . . ثم اطلقت لويز صرخة الم مكتومة، رافقتها صرخة تساؤل من ليليان:

«ماذا تقولين؟».

رددت بروك كلامها بهدوء:

«لقد طلبني للزواج».

صرخت لويز بصوت عال، ثم غرقت في نوبة من البكاء والنحيب.

عادت ليليان تسأل ابنتها الصغرى وعيناها تلتمعان بشكل غريب:

«ما الذي فعلته ايتها الصغيرة؟».

تركت بروك العنان لغضبها المكتوم قائلة:

«انتبهي لكلامك يا امي. فانا لا اسمح لاحد بمخاطبتي بهذا الشكل».

تحول كلام ليليان الى ما يشبه الزعيق وهي تقول:

«لا... لم اعد احتمل!» ثم هدأت قليلاً بعد ان احست ان ابنتها تروي الحقيقة تماماً، وانها وصلت الى نقطة اللارجوع في توترها وغضبها. وقالت:

«اي نوع من الرجال هو؟».

مسحت لويز دموعها بكفها وقالت:

«انه كابوس يا امي».

وفجأة قالت ليليان ما لم يتوقعه احد:

«الافضل ان تذهبي الى الفراش يا حبيبتي».

صرخت لويز بعصبية:

«لست في وارد النوم الآن. يمكنه ان يطلبها للزواج ويتزوجها ساعة يشاء... لكني اريد ان اعرف كيف سرقته مني؟».

قالت بروك بجفاء:

«صدقيني، انني لم اسع خلفه ابداً».

«انت كاذبة... كاذبة».

رفعت بروك يدها في وجه شقيقتها قائلة:

«راقبي كلامك ارجوك».

صرخت ليليان:

«اضبطي اعصابك يا لويز».

جمدت لويز في كرسيها، وقالت من بين الدموع التي لم تتوقف عن الانهمار:

«اجبريها على الاعتراف بالحقيقة يا امي».

استدارت الأم نحو بروك وسألتها بهدوء:

«وماذا قلت له؟».

اجابت بروك وقد نفد صبرها:

«قلت له من الافضل ان يبحث في مكان آخر. ولعلك تفعلين خيراً اذا قلت لابنتك الغبية هذه ان لا تجرب دموعها معي. انه يحترمها ويقدرها وغير راغب في الزواج منها. دعيها تنسى الموضوع برمته، فهو رجل قاس

جداً».

راحت ليليان تقطع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم قالت:

«حسناً... حسناً. هل انت متأكدة من كلامك هذا».

ردت بروك بجفاء:

«تمام التأكيد... تمام التأكيد».

الحت لويز في اثارة الموضوع مجدداً:

«وما هو دورك في هذا التغيير؟».

قالت بروك:

«فوجئت بالعرض مثلما فوجئتما به. والحقيقة ان طلبه للزواج جزء من صفقة تجارية اذا صح التعبير».

حولت ليليان عينيها الى النافذة وهي تقول:

«تماماً مثلما توقعت. صفقة تجارية، زواج مصلحة. نحن نملك البيت والاسم وهو يملك المال. ولا شك ان هذا ما يريده في الدرجة الأولى».

قالت بروك:

«من المعقول».

عاودت لويز نوبة النحيب والبكاء، فاستدارت ليليان نحوها بلطف:

«من الافضل ان تذهبي الى النوم الآن يا عزيزتي، فآثار التعب ستظهر عليك بوضوح في الصباح».

ردت لويز على امها بحدة:

«لست افهم موقفك يا امي. من الأكيد انك لن تعطي بركتك لهذه الخائنة».

سارت ليليان نحو ابنتها الكبرى ووضعت ذراعها على كتفيها قائلة:

«اصغي الآن يا عزيزتي. كان من الافضل لو انه طلبك للزواج لانك اجمل عروس على وجه الارض... لكنه طلب بروك بدلاً منك، وعلينا ان ننظر الى المسألة بمنطق. واعتقد انك ستفهمين الموقف عندما تفكرين فيه بهدوء».

اعترضت لويز بتوتر:

«ابداً. انت تتخلين عني لصالح بروك».

لم تنف ليليان هذه الحقيقة:

«لقد فعلت ذلك الآن. اذهبي الى الفراش يا حبيبتي، وسأخبرك بكافة التفاصيل صباحاً».

قاطعتها بروك:

«لا فائدة من مناقشة الموضوع مجدداً. فأنا لا اريد الزواج من السيد كوربللي، وقد ابلغته قراري هذا. وانت يا لويز، تزوجي باتريك... فهو الشخص المناسب، اللهم الا اذا اردت البدء في العمل».

التمعت عينا ليليان بالغضب الممزوج بالراحة:

«لن اوافق على ترتيبات وعروض السيد كوربللي الا اذا كان ينوي العناية بامك واختك».

اجابتها بروك والغضب يغلي في صدرها:

«اذا سمحت له بذلك، فلا شك انك انتهازية جداً يا امي».

هزت ليليان رأسها موافقة:

«علي ان اكون كذلك. هل قال انه مستعد لاعادة احياء ويترسويت؟».

اعترضت بروك بضعف:

«لا فائدة حتى من ذكر المسألة. لقد صدمت بعرضه المفاجىء الغريب. على فكرة، هل تعرفان ان عنده ابنة في السادسة عشرة من العمر؟».

صرخت لويز بصوت عال دون ان تتكلم، في حين قالت ليليان:

«ماذا؟».

«جزء اخر من اموره وتصرفاته التي لا نعرف عنها شيئاً».

احتقن وجه ليليان وهي تقول:

«اذن، فهو متزوج من قبل».

تابعت بروك الكلام بدون ان تهتم بتعليق امها:

«... وهو متعلق بها الى حد الجنون».

سألت ليليان باصرار:

«اين هي هذه الفتاة؟ اقصد ان احداً منا لم يرها من قبل».

«انها تعيش في كينيا مع شقيقته المتزوجة هناك. وفور تجهيز البيت سيحضرها للاقامة معه. ولا اعتقد ان لويز كانت ستستطيع الاهتمام بفتاة في سن المراهقة».

تنهدت لويز بعمق بدون ان تجرؤ على الكلام، وبيديها المرتجفتين جمعت اطراف ردائها ثم دفنت وجهها بين راحتيها... فقد اصبحت الأمور اكبر من قدرتها على الاحتمال.

اما ليليان فكانت منهمكة في تقليب المسألة على عدة وجوه:

«في كل حال، ليس هناك ما يدعو للقلق من فتاة مراهقة. والأرجح انها فتاة خجولة بحاجة للحماية الدائمة. كما وان هناك مدارس وجامعات في الخارج، بل اعتقد اننا قادرات على اخذها بيننا».

نهضت بروك بنفاد صبر:

«امي، لقد اعطيت جوابي وانتهى الأمر».

قالت ليليان بحزم:

«سوف تتجاوزين هذا الجواب السخيف بأسرع مما تتصورين».

صرخت بروك في وجه امها:

«غير ممكن. حتى من اجل انقاذ البيت، لن اربط نفسي بكوربللي هذا. واقول لك بوضوح انه يخيفني».

وبدأت لهجة ليليان تميل نحو اللطف:

«شعورك بالخوف طبيعي، فهو قد فاجأك بعرضه. الم اقل دائماً ان واحدة منكما ستنقذنا؟ من الطبيعي اذ نضع التفاصيل كلها في وثائق يعدها المحامي. وقد ادخل ابنته الصغيرة الجديدة الى المجتمع الاوروبي الراقي، ولعلي ازوجها من نبيل ثري. بحق السماء يا ابنتي، قد نستطيع ان نقوم برحلة الى انكلترا... بل ونحتفظ بالبيت للعائلة ايضاً».

تنهدت بروك بتعب:

«الاحظ انك لن تستمعي الى المنطق العاقل. هل تسمحين لي بالنوم الآن، فلم اعد قادرة على ابقاء عيني مفتوحتين؟».

قالت ليليان بلهجة الأم الحنون:

«آسفة يا عزيزتي. هيا بنا يا لويز، سوف اؤمن لك مستقبلاً افضل يا حبيبتي لا تقلقي، امك ستتولى كل شيء. لقد تذكرت الآن كل ارتباطاتنا العائلية، وربما عدنا الى الوطن في اول فرصة ممكنة».

ردت لويز بكسل:

«لا اريد ان اذهب».

«يجب ان تذهبي يا عزيزتي... يجب ان تذهبي».

شدت ليليان ابنتها نحوها وكأنها تدفع طفلاً صغيراً، ثم سارت باتجاه الباب. وقبل ان تغادر الغرفة التفتت الى بروك قائلة:

«تصبحين على خير يا حبيبتي. انت تعرفين انه رجل طيب جداً. وانا متأكدة من انه سيجعلك سعيدة للغاية».

همهمت بروك وهي ترتب سريرها:

«انت تخرفين يا امي».

تابعت ليليان تقول:

«ابداً ابداً. انا فخورة بك يا ابنتي. لن نضطر الى مغادرة البيت، ولن نضطر الى بيع المزيد من ثرواته. اما وقد وجدت نصيبك، فسأركز جهودي الآن على لويز. لا شك ان الايطاليين ممتازون، لكن الرجل الانكليزي لا ينافس».

صرخت بروك بنفاد صبر:

«هلا اطفأت الانوار يا امي».

ردت ليليان:

«طبعاً يا عزيزتي. تذكري اننا نقف الى جانبك».

كانت الأم تفكر في الزواج كمجرد عملية حسابية معقدة. عليها فقط ان تعرض السلبيات ثم الايجابيات، وعندما تطغى الايجابيات يصبح الأمر مبتوتاً به. والزواج من بول كوربللي ليس سيئاً، خاصة وانه ينوي العناية بعائلة زوجته. سحبت بروك الغطاء حتى شعرها الأحمر، ولجأت الى النوم لينقذها من التفكير بمسألة الزواج من بول كوربللي.

مضى اسبوع كامل قبل ان تلتقي بروك مجدداً بكوربللي. كانت فترة صعبة للغاية في مواجهة امها التي لجأت الى القسوة والاهانة بعد ان فشلت في اسلوبها العاطفي اللين. فأية ابنة مؤدبة ومطيعة يجب ان تفعل ما تأمرها امها... وحتى لويز كانت توافق على هذا الموقف، وباتت مقتنعة بأن الزواج من ارستقراطي انكليزي افضل من الزواج بايطالي غير معروف اصله وفصله.

كان يوم الاثنين هو موعد اللقاء الدوري للجهاز التعليمي في المدرسة. وعندما خرجت بروك من القاعة فوجئت بوجود سيارة لامبورغيني فخمة

بموقف السيارات امام المدرسة.

هتفت زميلتها كاي موراي وقد علتها الدهشة مثل بروك تماماً:

«يا الهي... من هو الثري الذي يملك هذه السيارة؟».

وسرعان ما ظهر صاحب السيارة مرتدياً سترة بيضاء على قميص حريري ناعم. وما ان شاهدته بروك حتى تمسكت بذراع صديقتها قائلة:

«ابقي معي ارجوك».

«طبعاً يا عزيزتي... طبعاً».

انضم اليهما باقي الاساتذة الذين وقفوا ايضاً يتأملون السيارة، في حين خطى كوربللي المسافة القليلة نحو بروك وكاي. قال لهما:

«نهاركما سعيد».

ردت بروك باختصار:

«كيف حالك يا سيد كوربللي».

تدخلت كاي قائلة:

«انني سعيدة جداً بلقائك يا سيد...».

قاطعتها بروك معرفة:

«كاي، اقدم لك السيد كوربللي، انه صديق... خاص».

ابتسم كوربللي بسخرية خفيفة عندما لاحظ تردد بروك امام عبارة «صديق خاص»، اما كاي فلم تخف اعجابها الشديد بهذا الرجل المميز، في حين تساءلت بروك عن الاسباب التي تدفعه الى محاولة لفت الانظار اليه؟

قال بهدوء:

«اخبرتني امك انك ستتأخرين في المدرسة، لذلك قررت الحضور بنفسي».

قالت كاي:

«اعذرني للتدخل. لكنك سعيد الحظ فعلاً، انني احب سيارتك يا سيد كوربللي، ولا اعتقد انني رأيت مثلها في حياتي».

رد بنعومة:

«ما زالت الطريق في بدايتها».

«لا شك انك ثري جداً. هناك تقف سيارتي الصغيرة...».

ثم التفتت نحو بروك قائلة: «لا اظنك سترافقينني اليوم؟» وعادت تحدث كوريللي قائلة: «نحن نستعمل سيارتينا دورياً. انا احضر سيارتي يومي الاثنين والجمعة من كل اسبوع، وبروك تحضر سيارتها باقي الأيام».

ابتسم وهو يجيب:

«انه اجراء اقتصادي جيد».

ولاحظت بروك على الفور تأثير ابتسامته الساحرة على صديقتها، التي سرعان ما تخلت عن حرجها وخجلها. قالت كاي وهي تترك ذراع بروك:

«سأراك فيما بعد يا عزيزتي. . . وداعاً يا سيد كوريللي».

رد عليها بلطف:

«الى اللقاء».

قالت كاي وهي تتوجه الى سيارتها:

«اذا كان ذلك يعني ان اراك مرة اخرى، فلا مانع ابداً».

لوح كوريللي لها مودعاً، لكن بروك عادت الى الموضوع الأساسي فوراً:

«هل تكلمت مع امي فعلاً؟».

قال لها:

«ان صديقتك تلوح مودعة».

انتبهت بروك لنفسها، فالتفتت تلوح لصديقتها التي عبرت بسيارتها الصغيرة الساحة الأمامية للمدرسة متوجهة نحو الطريق العام. . . تاركة اياهما لوحدهما. واخيراً سألته:

«لماذا انت هنا؟»

اخذ ذراعها بحزم وقادها باتجاه سيارته الفخمة:

«انك ترحبين بي ولا شك».

قالت:

«بسببك عشت اسبوعاً مرعباً».

نقل عينيه على وجهها وشعرها ثم قال:

«يبدو عليك الشحوب فعلاً. ارجوك اخبريني عن التفاصيل؟».

ردت عليه بحزم:

«انك تتكلم الانكليزية بطلاقة يا سيد كوريللي، لكنني متأكدة انك تفكر على الطريقة الايطالية».

علق بلطف ساحر:

«اريد ان اساعدك فقط».

فتح لها باب السيارة، ثم اغلقه خلفها واستدار ليأخذ مقعد القيادة.

وعندما استقر بها المقام قال:

«اذا لم يكن عندك مانع، سنعيد طرح المسألة من اولها؟».

«لن تحصل اية فائدة من النقاش مجدداً».

ورغماً عنها راحت تتأمل السيارة من الداخل، بل تركت اصابعها تتحسس الأزرار والمعدات التي لم تر مثلها من قبل، وفجأة التقط يدها قائلاً:

«يجب ان تخبريني بكل التفاصيل، فانا رجل عاطفي فعلاً».

ردت قائلة:

«اترك يدي. فرئيسة المدرسة لا تحب الايطاليين ابداً، وقد تظهر علينا في اية لحظة».

«لا سمح الله بذلك؟».

ثم اسرع بادارة محرك السيارة وانطلق بها باتجاه الطريق الرئيسي:

«انت تحبين التدريس ايتها العزيزة بروك، اليس كذلك؟».

«اولاً، لست العزيزة بروك. ثانياً، انا احب التدريس فعلاً».

«قيل لي ان التدريس يفقد بهجته عندما يعتاد المرء عليه، اي بعد عشر او عشرين سنة».

ردت قائلة:

«الا تعتقد انه من الأفضل انهاء هذا الادعاء الكاذب؟».

التفت اليها للحظات ثم قال:

«يجب الا تتحدثي هكذا. لقد حذرتني امك من انك في حالة عصبية متوترة».

«امي لا تهتم ابداً بما اعتبره انا اعتبارات اخلاقية ضرورية. انا لا استطيع الزواج من رجل لا احبه، وانا متأكدة من انك انت نفسك لا تحبني».

ابتسم بتهكم وهو يقول:

«تتكلمين باسلوب مؤسف يا عزيزتي. اذا كنت تعتقدين ان عدم حبي

لك غير مقبول، فيجب ان تحاولي جعل نفسك محبوبة ومقبولة».

التفت اليه بحدة فرأت الابتسامة الساخرة على وجهه:

«الا يمكن ان تكون جدياً ولو لفترة قصيرة؟».

«انا جاد جداً بالنسبة لك. انني اريد الحصول عليك، وعليك بالتالي ان تقبلي بي».

القت رأسها بتعب على المسند الخلفي للمقعد وقالت:

«يا الهي... المسألة كلها مجرد كابوس مزعج».

«ارجوك لا تقولي هذا. ليس من اللطف اطلاق الكلام القاسي».

سألته:

«هل كنت هكذا طيلة حياتك؟».

اجابها بلطف، لكن بحزم ايضاً:

«علمتني تجاربي ان على الانسان السعي الدائم من اجل الحصول على ما يريده».

«ولماذا انا؟».

كانت هذه الصرخة محاولة للفرار من التوتر الداخلي المتزايد. فقد ترقرقت الدموع في عينيها الخضراوين وباتت على وشك الانهيار بفعل الضغوطات المستمرة التي تعرضت لها طيلة الاسبوع الماضي... لكنها لا تريد ان تدعه يعتقد بانه يخيفها او يؤثر عليها.

قال بصوت عميق هادىء يحمل الكثير من النعومة والرقة:

«سأقول لك لماذا؟ كل رجل يحمل تصورات معينة عن المرأة التي يمكن ان يحبها ويعيش حياته كلها معها، عن المرأة التي يعود اليها بعد عناء النهار، عن المرأة التي تقف الى جانبه وتنجب له اطفاله وترعى شؤون الاسرة. ولا اظن انني اسيء اليك اذا قلت انك المرأة الاقرب الى هذا المثال. فانت جميلة وغنية... ولكنك ذكية ايضاً. وانت تضحكين وتسخرين، كما لاحظت في مناسبات عديدة. عيناك تشرقان بالتحدي والارادة. انني انوي الاحتفاظ بك ولن اؤذيك ابداً. ويجب ان تصدقي كل كلمة قلتها».

قاطعته بغضب:

«هذا لطف بالغ منك، ومع ذلك فانا لست بحاجة اليك يا سيد

كوريللي».

تخلى كوريللي عن لهجته اللطيفة، وعاد الى الصوت الآمر المسيطر:

«وانت تعرفين تماماً ان هذا غير صحيح، وتعرفين انك غير قادرة على الاستمرار لوحدك، وتعرفين ان عليك مسؤوليات كبيرة تجاه امك واختك، وانك لا تريدين ان يخرج البيت من اطار العائلة».

تنهدت بأسى:

«لا فائدة من هذا الكلام. كل ما تقوله صحيح، لكنني ارفض ان اباع واشترى. اعرف انك مشهور بالقسوة والحزم، ولكنك لن تغلبني. وعندما اقرر الزواج سيكون ذلك من الرجل الذي احبه ويحبني. وما عدا ذلك مرفوض تماماً».

«اذا كان الأمر يريحك ويغير رأيك، فسأجعلك تحبينني... وبعمق».

كان يتكلم وكأن ايقاعها في حبه امر هو رهن قراره الخاص. نظرت بروك الى جانب وجهه، فتأكد لها مرة اخرى انها مع رجل مكابر عنيد وقادر فعلاً الحصول على ما يريد مهما كلف الأمر.

قالت وهي تغالب دموعها:

«ارجوك، خذني الى البيت».

وعلى حين غرة، وضع يده على خدها بنعومة قائلاً:

«كان اسبوعاً موجعاً، اليس كذلك؟».

«كلنا نندم في بعض المرات على اشياء قلناها وما كان يجب ان نفعل. انا شخصياً غير راضية عن تصرفاتي، لكنني لن اتزوج مهما رافق العرض من تهديد ووعيد». اغلقت عينيها للحظات قبل ان تتابع:

«انني لا اعرفك. لا اعرف عنك الا انك غني جداً...».

قاطعها ساخراً:

«غني جداً؟ من السهل ان يبني الانسان الثروة على اساس المال الكثير الذي يملكه. اولاً شركة المقاولات، ثم صفقة الأراضي... وهكذا. لم يعد يهمني شيء الآن، فقد بنيت ثروتي وشهرتي. ينقصني فقط تكوين العائلة والحصول على بيت رائع كبيتكم. لا ترمقيني على هذا الشكل، ليس هناك ما يثير في كلامي. انني اريدك للاسباب التي ذكرتها من قبل... منذ اللحظة الأولى التي شاهدتك فيها، اصبحت جزءاً متمماً لكل

مخططاتي».

ردت عليه بهدوء:

«تتكلم وكأنني لا استطيع تغيير شيء في هذه المخططات؟».

تحولت لهجته الى الشدة وهو يقول:

«عملية استيلاء كما تعتقدين! اعرف انك امرأة معاصرة وذات تفكير منفتح... ومتحررة. لكنك في الأساس امرأة لها احاسيس النساء القديمات. الا تؤمنين بالقدر؟».

«اعرف ان هناك اناساً قادرون على تغيير حياة الناس الآخرين، لكنني لن اسمح لك بتغيير مجرى حياتي يا سيد كوريللي. لن تنومني مغناطيسياً طالما انني اصارعك، وانا الصخرة التي ستتحطم عليها كل المحاولات. من المؤسف ان احاسيسك لم تأخذك الى امرأة غيري. مثلاً كاثرين ينتمون من عائلة عريقة ومحترمة، وقد اشارت الشائعات الى انك مهتم بها؟».

قال بلهجة استنكار:

«حقاً؟ لقد دعوتها الى العشاء عدة مرات، فهل يعني هذا اننا بتنا مخطوبين؟».

في هذه الاثناء لاحظت بروك انه انعطف بسيارته الى الجهة اليسرى، فاستنفرت في مقعدها قائلة:

«انك تذهب الى الجهة المعاكسة».

«وماذا في ذلك؟».

اقلقها جوابه الساخر فقالت:

«لا اعتقد انك بصدد اختطافي؟».

اجابها بصوت عادي جداً:

«اريدك ان تري المكان الذي اعيش فيه».

قالت بحدة:

«اعرف اين تسكن... هناك في كولومنتز».

«طبعاً البناء من تصميمي... والبناء قامت به شركتي».

اجابته:

«مكان رائع للسكن، فلماذا تريد التغيير؟».

قال بدون ان يلتفت اليها:

«سبق واجبتك على هذا السؤال... لا تتوتري، لقد ابلغت امك انني سأدعوك الى العشاء الليلة».

وقبل ان تجيب، القت بروك نظرة خاطفة على ملابسها التي، وان كانت جميلة ومرتبة، الا انها غير مناسبة لدعوة عشاء. ثم قالت:

«انني متعبة من جراء العمل، ولست في ملابس مناسبة للعشاء».

اجابها بمرح:

«غير مهم. سوف نعد حفلة خاصة بنا على الشرفة».

سألته بجفاء:

«وكم ترتفع الشرفة عن الأرض؟».

نظر اليها وعيناه تلتمعان بشرور غريب:

«المسكن في الطابق العلوي. واقترح عليك الا تحاولي الهرب مني بالطيران كالعصافير».

«لم تخطر لي هذه الفكرة ابداً. سوف ازور شقتك يا سيد كوريللي لازالة الحاحك فقط، ولكنني لن ابقى للعشاء معك».

«يؤسفني انني لم ابلغك اننا لسنا وحدنا. هناك الخادم الأمين، وهو صديق حميم اثق به. انه ليس شاباً، لكنه محل للثقة... ويمكنك ان تثقي به كلية يا عزيزتي».

من الواضح انه لم يقصد الاستفراد بها في شقته، بل هو ينفذ سياسة الخطوة خطوة للوصول الى اغراضه. ومع انها مصممة على مواجهته بشدة، الا انه يشعرها بالعجز الكامل. وحتى اشمئزازها منه بدأ يضمحل، فقد اختار الليلة المناسبة لخوض معركة هي ليست على استعداد لها.

القت بروك رأسها على المسند الخلفي للمقعد وتنهدت بعمق... اما بول فنظر اليها خلسة وابتسم بهدوء وخبث.

في صبيحة اليوم التالي، استرجعت بروك احداث سهرة الأمس، فاكتشفت ان كوريللي لم يفعل شيئاً يزعجها... بل كان لطيفاً وساحراً وجذاباً. وعكس ما توقعت، فقد اعجبتها السهرة واستمتعت بها الى اقصى الحدود، رغم ان اعصابها ظلت مشدودة طيلة الوقت. اما الشقة فكانت قمة في الروعة والأناقة وحسن الترتيب، وقد تمازجت فيها المفروشات الحديثة بالتحف القديمة في ظل اضاءة عرف صاحبها كيف يبرز

بواسطتها كل مكامن الجمال. واكتشفت ايضاً ان بول كوريللي، رجل صعب التركيب، ولهذا فعليها ان تكون شديدة الحذر معه لئلا تجد نفسها واقعة في حبائله من حيث لا تدري.

كان الخادم العجوز جياني يروح ويجيء في صمت وأدب، وقد اعد لها عشاء ممتازاً. ولاحظت بروك ان العلاقة بين الاثنين اشبه ما تكون بعلاقة اصدقاء وليس علاقة خادم بمخدومه. وكم تمنت لو انها تعرف اللغة الايطالية كي تعرف ما كان يدور من احاديث بين كوريللي وجياني.

ظلت بروك تسترجع تفاصيل سهرة العشاء، مما اضطر احدى التلميذات الى القول بأن المعلمة سارحة في احلام اليقظة.

وعندها راحت تجاهد كي تركز انتباهها على ما يدور في قاعة الصف. . . لكن صورة بول كوريللي ظلت تلح عليها. وكالعادة عندما تريد نصيحة ما، اتصلت هاتفياً بماجي واتفقتا على اللقاء في ظهيرة اليوم التالي.

قالت ماجي وهي تأخذ مقعدها الى جوار بروك:

«ان مود هي التي ستتولى ادارة شؤون المحل في غيابي، وقد باعت اليوم مجموعة كبيرة من العقود والأساور الذهبية». وراحت تنقل عينيها على وجه صديقتها الصغيرة ثم قالت:

«قبل ان ينضم الينا احد، اخبريني ما المسألة؟».

«اخبرتك قبل قليل، لكنك كنت مشغولة بالمزاده».

اقتربت ماجي من بروك وقالت باهتمام:

«هيا اخبريني مجدداً».

«لقد طلبني بول كوريللي للزواج».

علت علامات التعجب والدهشة وجه ماجي التي صاحت:

«يا الهي! اعرف انه قوة لا تقاوم، لكنكما لم تعرفا بعضكما الا منذ فترة».

قالت بروك بصوت بارد:

«انا لا اعرفه على الاطلاق. انه مجنون قوة، او على الأقل يعتقد بانه يستطيع اختيار المرأة المناسبة. . . ثم ينتهي الأمر».

سألتها ماجي بجفاء:

«وكيف تقبلت امك الموضوع؟».

«الاسبوع الماضي كان مرعباً. اما بعد ان تناولت العشاء معه هذا الاسبوع، فهي لم تثر اي متاعب».

«وماذا عن لويز؟».

«ابتسمت بروك برقة:

«الحسد تحول الى ارتياح. فقد اكتشفت انها لا تستطيع التعامل معه».

«وهل تريدين التعامل معه؟».

هزت بروك رأسها بعنف، ورمت ماجي بنظرة حادة:

«كلا. انه جذاب جداً عندما يريد. لكنني لا ارغب في الزواج برجل لمجرد انه غني وجذاب».

«من الطبيعي! لست ادري لماذا يلقي الحظ رحاله دائماً عند الفتيات الصغيرات».

«كوني جادة يا ماجي رجاء».

انحنت ماجي نحو صديقتها وربتت على يدها بلطف:

«آسفة يا عزيزتي. ماذا ستأكلين الآن؟ يخيل الي انك خسرت بعض وزنك».

همهمت بروك وهي تقرأ لائحة الطعام:

«الجو كان مناسباً لتخفيض الوزن. لست مضطرة للعودة بسرعة الى المدرسة فتلميذاتي يذهبن الى الرياضة بعد ظهر اليوم».

ردت ماجي وهي تقرأ اللائحة بدورها:

«انني اعرف ذلك. كم اتمنى لو انني مثلك لا اهتم برشاقتي. واعتقد ان على العلماء تركيز جهودهم لاكتشاف وسائل تحفظ الرشاقة بدلاً من اهدار نشاطهم في محاولات لاكتشاف الفضاء». ثم رفعت نظرها الى بروك وتابعت:

«هل تعرفين يا عزيزتي ان البعض يعتبرك المخلوقة الأكثر حظاً في العالم؟ انه فعلاً لقطة لا تفوت».

ردت بروك:

«لا شك في ذلك، لكنني لا امانع ابداً في التبرع بهذا الحظ العظيم. فأنا لا اعرف شيئاً عنه سوى انه رجل صعب وغريب. . . وربما كان في الواقع

بربرياً مرعباً».

قطع الخادم حديثهما عندما اقترب منهما لاخذ طلباتهما. وعندما ابتعد، تابعت ماجي حديثها قائلة:

«لا يمكنني السماح لك بهذا الكلام، فهو لم يفعل ما يسيء اليك، اليس كذلك؟».

«ليس اكثر من طلب يدي للزواج. ولا اعتقد يا ماجي انه يعرف كيف يتقبل الجواب بالنفي. وهناك شيء آخر، انه اب لفتاة».

خيم الصمت قليلاً في حين كانت ماجي تنظر الى يديها، ثم قالت بعد تفكير عميق:

«العائلة تعني اشياء كثيرة للايطاليين. اين هي الفتاة الآن؟».

«انها ليست فتاة، بل هي مراهقة في السادسة عشرة، وتعيش حالياً مع عمتها في كينيا».

تساءلت ماجي:

«يبدو انه كان صغيراً جداً عندما تزوج. اعتقد انه في اوائل الثلاثين من العمر، اليس كذلك؟».

اعترفت بروك:

«في الخامسة والثلاثين». ثم نظرت الى صديقتها التي كانت ما تزال تحت تأثير الصدمة، واضافت تقول: «لم يخبرني الكثير عنها، باستثناء انه لم يكن متزوجاً».

علقت ماجي ببطء:

«غريب. على الأقل لم يكذب عليك. لست ادعي انني لم افاجأ، لكن هذه الأمور ممكنة الحدوث. من الواضح انه وصي على الفتاة، او سيأخذ الوصاية قريباً، اذا كنت غير راغبة بالزواج منه فلا داعي للاهتمام بالموضوع».

«لكن امي ستغضب وتثور».

قالت ماجي:

«لا استطيع فهم امك. وعليك انت ان تواجهي الموقف معها. في البدء كانت لويز هي صاحبة الحظ، اما وقد اختارك انت، فلا ترى امك سوى ان تتزوجيه. يا له من موقف غريب».

«وعدني بان يدعم امي ولويز الى اقصى حد».

«الم يزعج هذا الاقتراح امك؟»..

ردت بروك بأسى:

«انها لا تستطيع ان تفعل شيئاً. فهي لم تتعلم طيلة حياتها سوى ان تكون موضع الاهتمام. واذا ما تزوجت كوريللي، فان الأمور ستسير على ما يرام بالنسبة لها. . . تماماً كما كانت في الماضي. ومهما حدث بعد ذلك، فان لويز لن تتزوج الا الشخص الذي تحب».

علقت ماجي وقد صدمتها لهجة بروك:

«لكن احداً لا يستطيع ارغامك على الزواج يا عزيزتي».

«لا، غير انني اصدقه عندما يقول ان امي لن تعرف المصاعب بعد ذلك. عندما اتزوجه سيقوم باجراء كل اعمال الصيانة في وينترسويت. . . ثم ننتقل للعيش هناك».

سألتها ماجي:

«وليليان ايضاً؟».

«اعتقد انه سيؤمن لها عيشاً لائقاً في مكان آخر».

تنهدت ماجي بارتياح لدى سماعها هذا الجواب، وقالت:

«انه محق في قراره. لقد غرقنا في الاحاديث بحيث نسينا الأكل. كلي ايتها العزيزة وارتاحي. . . هناك هالات سوداء تحت عينيك. لو كنت مكانك لوافقت على الزواج من السيد كوريللي فوراً. . . لكنني في عمر لم اعد اخاف فيه من الرجال الخطرين».

اقبلت بروك على الطعام بشغف، بينما ظلت ماجي ترمقها بنظرات متفحصة بين الحين والآخر. وقد تعمدت ان تتحدث عن موضوعات اخرى مسرة، لكن بروك كانت مشغولة في المسألة التي ملأت حياتها خلال الأيام القليلة الماضية.

فجأة انفجرت بروك بغضب:

«اتمنى لو انني اضرب نفسي بالحائط كي اهرب منه».

قالت ماجي متعمدة الابتسام:

«لا تريد ان يحصل لك ذلك. دعيه يدعوك الى السهرات. انت تستحقين كل الاهتمام. ومع الوقت ستكتشفين ما اذا كنت فعلاً غير قادرة

على العيش معه».

علقت بروك وانفاسها تكاد تتقطع:

«هذا ما يثير جنوني فعلاً. فأنا اشعر بانني اقترب منه بدون ارادة طالما انا معه. كانت السهرة الاخيرة خطأ بالغاً. . . فلقد استمتعت بها جداً».

ابتسمت ماجي وهي تقول:

«لست في العادة خجولة وجبانة يا عزيزتي».

«ربما اخاف من القفص الذهبي. ومهما كان، ان تربية فتاة مراهقة مسؤولية كبيرة جداً».

«أنت تتعاملين مع امثالها في المدرسة. والآنسة ريتشاردز على ما اعتقد مرتاحة لك».

قالت بروك بنفاد صبر:

«الوضع في المدرسة مختلف. اعتقد انك معجبة بكوريللي، اليس كذلك؟».

«اعترف بانني معجبة به. صحيح انه عنيد، لكنه من معدن طيب ايضاً. انه يهتم بابنته، فلماذا لا يهتم بك ايضاً؟ لقد ادى بك العيش في ظل امك واختك الى بناء افكار غير صحيحة عنك. انت فتاة جذابة جداً. وذات شخصية محببة. الا تعتقدين ان بول لاحظ هذه المميزات؟ لذلك انه يعرف تماماً ما يريد».

«اذن، انت تنصحينني بالزواج منه؟».

اعترضت ماجي بضيق:

«لا تتزوجيه هكذا فقط. عليك ان تعرفيه اكثر. تمتعي بحياتك. ومن الأكيد انه لا يريد ان يسرع في اجراءات الزواج».

ردت بروك:

«انا متأكدة انه يفكر بحفلة زفاف كبيرة، وكذلك امي. اما لويز فهي تريد ان تظهر في قمة جمالها في العرس».

وافقت ماجي بسرور:

«رائع جداً. متى ستلتقينه مجدداً؟».

«سيقيم حفلة عشاء مساء السبت المقبل، ويريدني ان احضرها للتعرف الى اصدقائه».

حدقت ماجي بوجه صديقتها وهي تسأل:

«وهل ستذهبين؟».

التمعت عينا بروك وهي تجيب:

«لم اقرر بعد. عندما يتصرف بلطف فانه يصبح جذاباً جداً. لكن بيني وبينك انا لست الفضل من لويز، انه يريدني، غير انني ارفض ان يسيطر علي، فانا امرأة تريد الاحتفاظ باستقلالها في الفكر والعمل. انا لا استطيع ان اتزوج الثروة فقط، فسوف افقد كرامتي عندها. اما امي فتعتقد انني عنيدة ومغرورة، وحتى لويز تعتقد ذلك ايضاً».

«من الطبيعي ان تتصرف لويز كما تتصرف امك. ولا شك انك تدركين ان هذا الزواج سيحل العديد من المشاكل. . . بل واعترفت قبل قليل انه رجل جذاب».

تساءلت بروك بدهشة مشوبة بالخجل:

«هل قلت ذلك؟ اظن انه جذاب فعلاً. . . لكنه في الأساس رجل متوحش قاس».

علقت ماجي بحزم:

«اصبح الرجال من هذا الصنف نادرين».

«هناك ايضاً خطر ان اهرع الى ذراعيه رغماً عن قناعاتي. لست اعقد الأمور يا ماجي، لكن هذه هي مشاعري فعلاً».

ظلت ماجي صامتة لعدة دقائق. . . ثم قالت:

«لعلك متأثرة بطريقة لا شعورية باصله الايطالي يا عزيزتي، حيث مواصفات السحر والعنفوان والقوة الجسدية الطاغية. اعترف انه من طراز يختلف عن نوعية الشبان الذين اعتدت انت ولويز عليهم، لكن اياك ان تعتبري ذلك نقيصة فيه. عيشي حياتك، تمتعي بكل دقيقة فيها. . . فالشباب لا يدوم. انني اتعاطف معك لكنني لست ضد السيد كوريللي. نصيحتي ان تذهبي الى سهرة مساء السبت. لن يجبرك احد على الزواج منه. . . ولعلك تكتشفين فيه عن مميزات تعجبك وتقربه من قلبك. ومهما كان، فأنت لن تخسري شيئاً».

توقفت ماجي عن الكلام، وابتسمت في وجه صديقتها بلطف وحنان. . . وسرعان ما حلت الابتسامة على شفتي بروك التي استعادت

هدوءها ورباطة جأشها بعد جلسة المصارحة هذه .

٤ - لا ترفضي

مر الاسبوع باسرع من لمح البصر . وقد احست بروك انها فعلت حسناً بلقائها صديقتها ماجي . ذلك ان مسألة الذهاب الى سهرة السبت باتت محسومة في ذهنها . ومن الطبيعي ان يجعل هذا القرار امها في قمة السعادة ، وكذلك لويز ايضاً . فالاثنتان باتتا تعاملانها بلطف مبالغ فيه بحيث شعرت بروك بالكثير من الاشمئزاز لهذا التغير السريع في المعاملة . اما بول فلم يفعل شيئاً سوى المراقبة والانتظار ، فهذا هو الدور الذي يناسبه تماماً في هذه المرحلة .

اصرت الأم ولويز على مرافقتها الى السوق لاختيار الثوب المناسب من وجهة نظرهما للسهرة . ومع ان ليليان رفضت بحزم طراز الفستان الذي ارتدته بروك في السهرة الماضية ، الا ان الفستان الذي اتفقن عليه كان جميلاً فعلاً . فقد تكارمت الأم كثيراً في الشراء ، وظلت لويز تطري الاختيار طيلة الطريق . اما بروك فكانت تعتقد بأن الخطط لا تجري حسب ما تشتهيه هي . . . وتمنت لو انها لم تر بول كوريللي ابداً .

قادت بروك سيارتها باتجاه شقة كوريللي وهي ما تزال تشعر بالرغبة في الهرب من المنطقة كلها . واخذت تتساءل في سرها عما اذا كان هذا الايطالي الجذاب يملك قدرات عقلية خارقة تسيطر على ضحاياه وتحرمهم من ارادتهم . سبقتها افكارها الى الشقة الرائعة التي ساهم بول مع المهندس الاصلي في وضع الخطوط الرئيسية لها . وسرعان ما تذكرت ان اباها كان مهندساً ايضاً ، وانها احبته بجنون كونه اباها وكونه مهندساً في الوقت نفسه .

كان شعرها الاحمر يتطاير بفعل تيار الهواء المتسلل عبر نافذة السيارة. لقد تركته يطول ويطول نزولاً عند نصيحة صديقتها ماجي التي اكدت لها ان الشعر الطويل يتناسب مع رشاقة جسمها المتناسق. ان ماجي صديقة رائعة. فهي قد ساهمت في اكثر من مناسبة في تثبيت ثقتها بنفسها. واما بروك، فباتت الآن منهمكة في اظهار جاذبيتها الخاصة مستغلة شعرها الأحمر الذي ظلت تعتقد لمدة طويلة انه بشع وغير صالح ابداً.

واخيراً اطلت عليها سلسلة المباني البيضاء التي يسكن في احدها كوريللي. خففت بروك السرعة وقد امتلأت نفسها بتوتر مفاجيء مشوب بالتوقعات المثيرة. كانت وكأنها امرأة تتصرف بفعل التنويم المغناطيسي. فقبل فترة قصيرة فقط كانت لا تستطيع تحمل رؤية بول كوريللي او حتى السماع عنه... اما الآن فتبدو مرتبطة به بشكل لا يفسر.

ما ان اقتربت بروك من موقف السيارات حتى شعرت بالدم يجمد في عروقها لرؤية رجل وامرأة يظهران من المبنى باتجاه سيارة فولفو زرقاء كانت متوقفة هناك. اخذ قلبها يخفق بشدة غريبة وتمنت ان تعود فوراً من حيث اتت وهي لا تصدق ما تراه عيناها. لم يكف انها جاءت بدون اقتناع، بل عليها ان تراقب بألم الرجل الذي طلبها للزواج وهو يوصل امرأة اخرى الى سيارتها بلطف وحنو. لقد عرفت الآن السيارة وصاحبتها، انها كاتي بيتون بشعرها الأسود الطويل واناقتها المعهودة. دخلت كاتي الى السيارة بينما وقف كوريللي يراقبها بلطف واضح...

استغربت بروك سبب شعورها بالصدمة لرؤية كاتي. خاصة وان الصدمة كانت اقسى من كل ما مر في حياتها. لقد كان بول صريحاً معها عندما اخبرها بان لديه ابنة... وهذا يعني انه عرف العديد من النساء، والارجح انهن كن يرمين انفسهن عليه. اما الآن فهو يحاول استغلال امرأة جديدة... بروك نفسها. تدفقت الدماء بحرارة في كل شرايين بروك وهي تحس بانها طعنت في صميم كرامتها. لقد اذعنت لمطالب الجميع: امها ولويز وماجي، في حين انها تواجه لعبة ذات حدين. ومهما كان الأمر، سواء دفعتها الاقدار الى هذا الطريق او ان حظها السيء هو الذي اوصلها الى هنا، فانها تواجه رجلاً غريباً في ماضيه وفي حاضره.

اقلعت الفولفو اخيراً، وعاد بول متمهلاً من حيث اتى... وباتت على

بروك ان تتحرك من مكانها المنعزل بدون ان تجيب على تساؤلاتها الخاصة حول موقفها من رؤية كاتي وكوريللي معاً. انها لا تحبه فعلاً، ومع ذلك شعرت بأن رؤيتهما معاً تشكل مصيبة كبرى جداً. فقد كانت تقول دائماً ان بول مصيدة للنساء... ولا شك انه تخلى عن ام ابنته، والارجح ان هذه الأم عاجزة الآن عن الانتقام منه.

بعد ان اطمأنت بروك الى ان بول اصبح داخل شقته الفاخرة، ادارت محرك السيارة مجدداً وسارت باتجاه الموقف. وعندها فقط احست بمشاعر الغضب تطغى على كل احاسيسها. فكرت بألم عميق: هل يعتبرني غبية؟ مجرد فتاة يضيفها الى اللائحة؟ انه زواج فاشل قبل ان يحدث!

لم تنتبه بروك الى السيارة التي كانت تسير خلفها بسرعة، بل واصلت سيرها بدون ان تدري الى اين ويداها ترتجفان غضباً فوق المقود. لماذا لم يكتف بكاتي ويطلبها للزواج؟ فهي مناسبة له تماماً، وان كانت لن تمنعه من مطاردة النساء الاخريات.

رغماً عنها، اطلقت نظرة خاطفة باتجاه شرفة شقته. ولسوء حظها كان بول واقفاً هناك يحادث صديقاً، ونظره منطلقاً باتجاهها. غضت بصرها بسرعة وهي تتمنى ان يكون قد عجز عن تمييز سيارتها من هذا البعد.

ظلت منطلقة بسرعة بدون ان تعرف الى اين تذهب. فقد تحول اشمئزازها الى نوع من الألم الداخلي الناتج عن شعورها بالخجل الذاتي. كان عليها ان لا تصل الى هذا الحد، بل كان عليها ان لا تمنحه حتى ولو دقيقة واحدة من وقتها. لقد اعتبرت نفسها دائماً فتاة ذات ارادة وقوة شخصية، وها هي الآن ترتكب اخطاء مثلها مثل غيرها من الفتيات. لا شيء يمكن ان يزيل من ذهنها صورة بول كوريللي خارجاً مع كاتي بيتون من شقته، خاصة وان اسميهما مرتبطان في اخبار الناس حتى عندما كان كوريللي مرشحاً للزواج من لويز. ان بول لا يرتبط باحد... سوى بشخصيته.

عند تقاطع الطرق، انعطفت نحو اليمين باتجاه المرفأ البحري الصغير.

لا يمكن ان تصبح ملكاً لرجل يقدم على الخيانة بهذه السهولة! لكنها لا تحبه وهو لا يحبها بالطبع. المسألة اذن مسألة كرامة.

وعلى حين غرة انتبهت بروك الى ان سيارة اللامبورغيني الفاخرة

تلاحقها بسرعة فائقة. فاعتقدت على الفور ان كوريلي يسعى خلفها محملاً بالاعذار والأكاذيب والتبريرات. ظلت هي محافظة على سرعتها المعتدلة، وراحت تتمنى وجود رجل شرطة يلقن هذا الرجل درساً لا ينساه.

ومن حيث لا تدري ظهر فجأة امامها كلب صغير رافقته صرخة رعب اطلقها صاحبه من مكان ما قرب الطريق. وبحركة غريزية انحرفت بروك يساراً في محاولة لتفادي قتل الكلب. لم يعد بول كوريلي ماثلاً في ذهنها، بل حل رعب هائل من جراء الأحداث المتسارعة. عليها ان تعيد السيارة الى مسارها الطبيعي بعد ان تجاوزت الكلب. لم يكن من المناسب ان تنحرف بهذه الحدة من اجل الكلب، لكنها تصرفت غريزياً بمجرد رؤيته. لكنها لم تستطع السيطرة على السيارة التي ظلت منطلقة باتجاه الماء. جحدت عينا بروك رعباً وتصلب جسدها بهلع... لقد حلت المأساة ولم يعد امامها الا الصراخ:

«حمداً لله على سلامتك».

سمعت بروك هذا الصوت ضعيفاً قلقاً، فعاد اليها وعيها على الفور. كانت ملقاة على وجهها فوق الاعشاب الخضراء، ويدان قويتان تدلكان ظهرها وكتفيها. لقد اخرجت كل المياه التي ملأت رئتيها... لكن اليدين كانتا تشعرانها بالتعب والألم.

بعد وقت قصير، ادارت رأسها بضعف شديد، ثم انتظرت حتى اتضحت الرؤية... فوجدت امرأة منحنية عليها باهتمام شديد. قالت المرأة وهي تمسح الشعر المبلل عن وجه بروك:

«هذا افضل يا عزيزتي».

فشلت بروك في اخراج كلمات الشكر من حنجرتها، واكتفت بالتلفت حولها لتجد الكلب وصاحبه ومجموعة من الاشخاص ورجل شرطة حاملاً بيده محضر الحوادث والمخالفات.

«... من حسن الحظ انك كنت موجوداً لانقاذ هذه الآنسة، ولولاك لانتهى الأمر بمأساة».

سمعت حديث رجل الشرطة وهي عاجزة تماماً عن الحراك. انها بحاجة للهواء، فقط عدة انفاس قوية. كانت شاحبة وضعيفة ومنهكة، لكنها على قيد الحياة بفضل الرجل الذي قفز مرتين في الماء لاطلاقها من سيارتها

الغارقة. ولم تستغرب بروك ان يكون هذا الرجل هو بول كوريلي نفسه، الذي يملك قوة تؤهله للقيام بما يشبه المعجزات. شعرت بيديه تحملانها بلطف، فاستسلمت له مع انها كانت ترغب في ان تطلب منه ان يدعها وشأنها. في هذه الأثناء ضاقت حلقة الناس حولها، وكل واحد منهم يريد ان يطمئن عليها ويشجعها... لكنها لم تكن تسمع الكثير، بل القت برأسها على كتف كوريلي العريض، الذي وقف للحظات يستمع الى ملاحظات الشرطي:

«دع الأمر لي يا سيد. انت ستأخذ خطيبتك الى الطبيب الآن بعد ان انقذتها. فارجو ان تتصل بي في وقت لاحق لاكمال محضر التحقيق».

كتب الشرطي اسمه ورقم هاتفه على ورقة صغيرة وضعها في جيب قميص كوريلي وهو يقول:

«عاينت الكثير من حوادث الانحراف بسبب الحيوانات. قلة من الناس يفعلون غير ذلك، مع انهم يعرضون حياتهم للخطر».

سمعت بروك صوت بول العميق وهو يشكر الشرطي على اهتمامه. وعندما سار بها باتجاه السيارة، دفنت رأسها في صدره متعبة ومنهكة القوى. لقد انقذ حياتها من الموت، واذا ما قرر الحصول عليها الآن فلا شيء يمنعه... الا انها لا تشعر تجاهه بشيء، حتى ولا العرفان بالجميل.

همس في اذنها وهو يضعها في المقعد الأمامي من سيارته:

«ايتها المسكينة» ثم اضاف بصوت عاطفي وكأنه يخاطب المرأة التي يحبها منذ زمن: «ايتها الصغيرة المسكينة، ماذا تريدين ان افعل بك الآن؟».

ولأول مرة لم تجد جواباً، بل اكتفت بالاستلقاء في مقعدها صامتة. وطوال الطريق الى شقته لم يكن يسمع سوى صدى الريح وهي تعبر النوافذ المشرعة. وعندما حملها مرة اخرى، استسلمت بشعور المهزوم الضعيف الذي لا يملك حولاً ولا قوة.

فتح جياني الباب، ثم انطلق في حديث باللغة الايطالية مع كوريلي الذي حمل بروك الى غرفة النوم الرئيسية. لم يهتم بول بالغطاء الحريري فوق السرير رغم ان جياني حاول ازاحته قبل وضع بروك على الفراش.

وعندما استقرت بروك في السرير عاجزة خائفة، ومتوترة من وجودها في غرفة نوم الرجل الذي يريدها للزواج... وقف كوريلي الى جانبها

يكلمها بصوت ناعم هادئ». كانت عيناه غائمتين، وقد تحول سوادهما الى ليل عميق... عميق. قال بلطف:

«ذهب جياني لاستدعاء الطبيبة التي تعيش في نفس المبنى. انها وزوجها الطبيب صديقان حميمان لي. اعتقد انك بحاجة لمهدىء يزيل توتر اعصابك... ثم النوم العميق. سوف اتصل بامك واخبرها بدون ان اثير هلعها».

قالت بروك بخوف:

«اريد ان اذهب الى البيت».

جاءها صوته آمراً بحزم وقوة:

«لا. كنت قاب قوسين او ادنى من الموت. عليك البقاء هنا، فادريانا تعرف كيف ترعاك وهي قريبة جداً منا. بعد ذلك سآخذك الى البيت. فلا تخافي يا صغيرتي، فلست ارغب في زيادة متاعبك ومخاوفك».

اغمضت بروك عينيها هرباً من عينيه الحادتين النافذتين. لكنه ظل قربها ممسكاً باحدى يديها المرتجفتين بكلتا يديه الى ان جاءت المرأة التي اسمها ادريانا.

«بول، ما هذا الذي اسمعه؟».

فتحت بروك عينيها. وجاهدت كي تجلس في السرير. لكن افكارها لم تكن واضحة، والرؤية ما زالت غائمة امامها. في حين زادت الجمل الايطالية المتبادلة بين الطرفين من تشوش ذهنها المتعب اساساً. كانت المرأة في اواسط العمر، وسرعان ما اثبتت انها قادرة على الاهتمام ببروك على افضل وجه. بعد قليل غادر كوريللي وجياني الغرفة تاركين الطبيبة ادريانا مع مريضتها. قالت ادريانا بصوت عاطفي:

«ايتها المسكينة، لا شك انها كانت تجربة مرعبة. اعتقد انك في حالة عصبية سيئة، لكن الله ستر ان بول كان موجوداً. انه سباح ماهر وشجاع ايضاً». صمتت قليلاً وهي تتفحص وجه بروك الشاحب ثم اضافت تقول: «انني هنا لمساعدتك يا عزيزتي. لقد كلمني بول عدة مرات عنك. اولاً سأعطيك دواء لتهدئة الاعصاب، ثم اغير ثيابك المبللة».

قالت بروك بضعف:

«اشكرك كثيراً».

ردت ادريانا بابتسامة عريضة، ثم عكفت على عملها تؤديه بتؤدة واهتمام.

ما ان استيقظت بروك في وقت لاحق، حتى هبت من فراشها مذعورة وقلبها يخفق بشدة غريبة. رفعت يدها لتغطي وجهها وكأنها تهرب من مشاعرها المرعبة، بينما نحيبها يملأ الغرفة بنشيج متقطع اختلطت فيه الدموع بالتنهدات والصرخات. لم تكن تتألم، وقد زال عنها تشوش الرؤية... لكنها ما زالت على شفير الانهيار العصبي.

رفعت رأسها عن راحتيها قبل ثوان قليلة من فتح الباب. وعندها انتصبت جالسة في فراشها وجسدها مشدود كوتر قاس. دخل بول كوريللي بهدوء، وخاطبها بصوت لطيف:

«لقد استيقظت خائفة؟».

ردت بصوت ضعيف متقطع:

«انني في حالة افضل الآن».

اقترب منها قائلاً:

«هل تريدين ان ادعو ادريانا؟ انها لا تمانع ابداً؟».

هزت بروك رأسها رافضة وهي تتساءل في سرها عن الوقت. ثم راحت عيناها تبحثان في ارجاء الغرفة عن ساعة ما، لكن دون جدوى. واخيراً سألته:

«كم الساعة الآن؟ يجب ان اعود الى البيت».

رد عليها قائلاً:

«انها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تقريباً».

صرخت باستغراب:

«غير معقول».

قرب بول ساعة معصمه من وجهها ليؤكد لها الوقت، فاشاحت عينيها قائلة:

«انني لا ارى بوضوح». ثم اضافت بعد تردد:

«مهما كان الوقت، فانا اريد العودة الى البيت».

كانت ترتجف دون ارادة وقد افزعتها الاحتمالات التي اخذت تقلبها في ذهنها. وفجأة انهمرت الدموع الغزيرة على وجنتيها الشاحبتين الناعمتين.

قال بصوت قلق:
«ارجوك لا تبكي».
«انا متأسفة... انا متأسفة».
رفعت يديها تغطي وجهها من نظراته الحادة... فلم تسمع وقع خطواته وهو يبتعد عنها ثم يعود اليها حاملاً كأساً من الماء.
«اشربي هذا».
«لا اريد ان اشرب».
«اشربيه».
قرب الكأس من شفتيها، ويده تسند يدها المرتجفة. وعندما انتهت، ابتعد عنها قائلاً:
«والآن عودي الى النوم، وعندما تستيقظين ستشعرين بالراحة التامة».
عضت بروك على شفتها السفلى وهي تتمعن في وجهه ثم قالت:
«انني خائفة منك».
«انا اعرف ذلك».
«اريد ان اذهب فوراً».
قال بحزم وكأنه ينهي المسألة:
«لست في وضع يمكنك من ذلك الآن».
سألته بالحاح:
«لماذا لم تحضر امي بعد ابلاغها بالحادث؟».
رد بجفاء:
«لم تحضر لأن ادريانا اكدت لها انك نائمة، وانها ستتولى العناية بك حتى الصباح. والظاهر انها تثق بي اكثر مما تثقين بي انت».
احست بروك بالتوتر يخيم عليها، فقررت ان لا تعلق على كلامه. وبعد فترة من الصمت تابع بول قائلاً:
«نامي الآن يا عزيزتي... استلقي بهدوء ونامي. واعدك بانني ساعيدك الى امك في الصباح الباكر».
قالت بصوت حاد:
«انني مستيقظة الآن».
ابتسم بول بهدوء وهو يتأمل وجهها الذي بدأت تعود اليه الوانه

الطبيعية. وقبل ان يعلق على كلامها، تابعت تقول فجأة:
«لماذا طلبت مني الزواج؟».
اجابها ببساطة:
«لانني اريدك زوجة لي».
قالت بمرارة والدم يغلي في عروقها:
«هذا ليس سبباً كافياً. اعرف انني اناسب خططك، لكن عندي خططي الخاصة ايضاً. وهذه الخطط لا تتضمن الرجل الذي يبدو انه يريد كل امرأة تقع عيناه عليها».
رد بسرعة:
«ايتها الحمقاء. ليس هناك شيء ابعد عن الحقيقة مما تقولين. سأتركك الآن، لانني اسبب لك الازعاج على ما يبدو. ارخي اعصابك وحاولي ان تنامي».
انفجرت صارخة:
«انني ذاهبة الآن».
وللحظات عادت اليها كل الافكار والمشاعر التي ملأت نفسها بعد رؤية بول مع كاتي. وتصورت انها ترى ملابس تلك المرأة منثورة في كل مكان... لذلك نهضت من السرير بسرعة واتجهت نحو الباب تريد مغادرة البيت فوراً. وما ان وقفت، حتى عجزت قدماها عن حملها. لكن ذراعي بول كانتا هناك لاسنادها، ولم تعد تشعر الا بيديه القويتين حول كتفيها... ومع ذلك ظلت تقاومه والغيرة تأكل احشاءها.
قال بغضب:
«اذا واصلت هذه الحركات ستشعرين بالتعب والألم اكثر. من اين جاءت فكرة انني رجل خائن؟».
ضحكت بروك عالياً وهي تقول:
«اعتقد انك لم تر كاتي بيتون منذ مدة طويلة؟».
همهم بهدوء وهو ينظر اليها:
«انت تغارين اذن».
شعرت بروك انه اصاب منها وتراً حساساً، لكنها لم تهتم لذلك بل قالت بحدة:

«اتركني من فضلك».
ظل محدقاً فيها وهو يقول:
«لماذا اتركك؟ انت خطيبتي؟».
قربها منه اكثر، لكنها رفعت صوتها بالاعتراض:
«لا اريدك ابداً، وافضل العزوبية الدائمة على الزواج منك».
قال ساخراً:
«دعك من هذا الكلام. ماذا عندك ضدي فعلاً؟».
نظرت اليه بتحد:
«انك رجل مغامر. كل اعمالك وشؤونك غامضة. لست ارغب بوضع لافتة ممنوع اللمس في عنق زوج المستقبل، لكنني اريده وفياً اميناً. وانت تعرف ان الأزواج اوفياء حتى في هذه الأيام».
رد عليها بصوت غاضب:
«انني اسمعك فلا ضرورة للصراخ. ولماذا لا؟ انا ايضاً يمكن ان اكون وفياً، فلا تحاولي وضع العراقيل. واذا كنت اريدك زوجة لي، فليعلم الله اني احاول جاهداً كي اكون زوجاً وفياً».
قالت وكأنها تتأسف فعلاً لعدم قدرتها على التجاوب معه:
«انني آسفة... من المستحيل ان اقبل».
لم يظهر كوريللي اية مشاعر تجاهها، بل ظل هادئاً، يحدق فيها قائلاً:
«اذن تريدينني ان احبك، أليس كذلك؟».
صرخت وهي تبعد عينيها عنه:
«هيا ارحل عني. دعني بسلام ارجوك».
حملها بين ذراعيه وسار بها نحو السرير، في حين اغمضت هي عينيها وقلبها يخفق بشدة.
سألها بصوت قاس:
«ألا تريدين شيئاً اخر؟».
ردت دون ان تفتح عينيها:
«وهل من الضروري ان تتصرف كالمجانين؟».
فتحت عينيها عندما انزلها من بين يديه، فاكتشفت انها اثارت فيه مكامن الغضب والثورة بكلامها الاستفزازي. ذلك ان عينيه كانتا تقدحان

شرراً وشفتيه ترتجفان بتوتر ملحوظ. قال:
«دائماً تهربين مثل طفلة صغيرة غبية».
ابتعدت عن يديه وهي تتأوه:
«آه... دعك من هذا الكلام».
سألها بالحاح:
«ماذا سيحدث الآن؟ هل تشكرينني على انقاذي لك؟».
«يا لك من مجنون».
كانت بروك تتنفس بعمق وصعوبة عندما ضمها كوريللي بين ذراعيه وغيبها في عناق طويل حار، حاول خلاله ان يتصرف معها بنعومة فائقة. وحتى عندما انتهى المشهد، لم تكن بروك لتدرك ان الذي وقع كان حقيقة ام خيالاً. لقد عرفت الآن ان كوريللي رجل شديد السيطرة على النساء اللواتي يتعامل معهن، وهو قادر على رفعهن الى الذروة بلمح البصر او انزالهن الى الحضيض فوراً.
قال لها بجفاء:
«تصبحين على خير ايتها الآنسة. اتوقع الآن ان تستغرقي في النوم... وتحلمي بي».
ردت غاضبة:
«لا ابداً... لست من النوع الحالم اساساً».
ضحك بصوت ساخر:
«كان عناقاً رائعاً... وانا انتظر لقاءنا المقبل على احر من الجمر».
قالت:
«تصبح على خير يا سيد كوريللي. والافضل لك ان تواصل صداقتك مع كاثي... فهذا سيجنبك العديد من المشاكل».
رد عليها بنعومة:
«لقد واجهت المشاكل طيلة حياتي... ولست على استعداد الآن لخسارة افضل ممتلكاتي على الاطلاق. نامي الآن يا آنسة، فانا اعرف كيف اتعامل معك».
لم تستطع بروك ان تجيب، فقد غلبتها احاسيسها المتضاربة... ولذلك دفنت وجهها المتعب في الوسائد، وراحت تستمع اليه يتكلم لوحده

بالايطالية. في هذه اللحظة جادتها الرغبة بتعلم الايطالية خاصة وانها ممتازة باللغتين الفرنسية والالمانية.

سألها وهو واقف عند الباب:

«لا اظنك تبكين ابنها الصغيرة؟».

ردت عليه ساخرة:

«اجل، ابكي عليك. فمن المؤسف ان تعمد بيديك الى تدمير بيت احلامك».

اجابها بهدوء وهو يغلق الباب:

«لا اظنك تفعلين... لست من هذا الطراز».

اجتاحتها رغبة عارمة بقذفه بشيء ما. لقد استطاع في لحظات قليلة ان يدمر مقاومتها كلها. لم تعد تعرف الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والسيء من الجيد. انها تعرف شيئاً واحداً فقط، كوربللي قادر على التأثير عليها بشكل لا يصدق، وهو لن يتركها بسلام الا اذا دفنت ما حدث معها الليلة في عقلها الباطني. لقد جعلها حادث السيارة ضعيفة ومهزومة، والأخطر من ذلك انها الآن في شقته وفي غرفة نومه بالذات. عليها ان تنام. انها بحاجة للوقت كي تفكر بوضوح. ومن غير المحتمل ان يلاحقها طيلة اليوم.

رتبت الوسادة تحت رأسها واراحت جسدها المنهك. يجب الا تتخلى عن معركتها معه. صحيح انها في سريره الآن، لكن ليس كباقي النسوة... فهي مجبرة على البقاء بفضل جبروته وعناده. واستغربت بروك كيف ان افكارها كلها تتركز حول كوربللي فقط، وكأن الأرض قد خلت الا من هذا الرجل الغريب.

بدأت اجنحة النوم تحوم فوق عينيها وهي غير قادرة على ابعاده عن ذهنها. ستكون معجزة فعلاً اذا ما استطاعت ان تهرب منه.. ولكنها اعتادت منذ طفولتها على الانتصار في معاركها الحاسمة، وعندما قرعت الساعة الفرنسية في القاعة المجاورة معلنة حلول الساعة الرابعة صباحاً، كانت بروك قد اخلدت الى نوم عميق.

٥ـ ارجوك اطلق سراحي

ظلت بروك تعاني من آثار الحادث الذي وقع لمدة شهر كامل. وفي نهاية هذا الشهر وصلت لوسيا كوربللي الى استراليا قادمة من كينيا برفقة احدى قريبات العائلة.

قال لها بول بصوته الساحر:

«يجب ان تقابليها».

لم يكن بالامكان طيلة الفترة الماضية ان تتهرب منه، وهذا ما جعل ليليان في قمة السعادة، تماماً كما لو ان جدها الاكبر قد عاد الى الحياة. وبات بول يتردد على البيت كثيراً بحيث وجدت بروك نفسها تسأله في احدى المرات عما اذا كان يحاول التقرب من امها بدلاً منها. وحتى لويز كانت تظهر فرحها وسعادتها لوجوده في البيت بينما هي تنتظر فارس الاحلام الآتي من الأرض الانكليزية العريقة. اما بروك فقد كانت مسيرة وغير مخيرة، فالام معجبة جداً بكوربللي وتعتبر ان زواجه من بروك امر لا مفر منه وهو قريب الوقوع.

والغريب ان بول خلال زياراته المتكررة للبيت كان يحضر الزهور والحلوى والشوكولاته، لكنه لم يفتح سيرة الزواج مع بروك ابداً، بل كان يعاملها باللطف نفسه الذي يمارسه مع امها واختها. وحتى في المناسبات التي خرجا فيها معاً لقضاء السهرة، كانت تصرفاته رصينة مؤدبة وليست عاطفية على الاطلاق. لقد اخبرها ثاني يوم الحفلة انه لم يعلم بان كاثي ستكون آتية لزيارته، واكد لها انه لم يدعها للحفلة، بل لم تزر البيت من قبل ابداً... لكن بروك وجدت صعوبة بالغة في تصديقه. كما وانها لم تلم كاثي

على تقربها منه، فهو ساحر وجذاب وغني ايضاً. ولا شك ان كاتي تحب بول، هذا ما تقوله لويز التي هي صديقة حميمة لكاتي. ومهما كان فان سحره وجاذبيته وثروته لا يمكن ان تترك اثراً على بروك المصممة على مواجهته بصرامة.

في احد الايام جاء بول لزيارة العائلة حاملاً معه طبقاً من الخزف الصيني الذي يعود تاريخه الى القرن السابع عشر، وكان هذا الطبق قد بيع من ضمن ما اضطرت العائلة لبيعه خلال المدة الماضية.

صرخت ليليان وهي تطلب من بروك ان تسكب لها فنجاناً ثانياً من القهوة:

«اليس الطبق رائعاً».

ردت بروك بخبث:

«اعتقد ذلك. لكن هذا الطراز لا يعجبني».

رفعت ليليان رأسها الجميل بنعومة وضحكت قائلة:

«يا لهذه النكات السخيفة. وكما يقول بول انت تفكرين بطريقة مختلفة تماماً».

سألت بروك:

«وماذا ستفعل بشأن لوسيا؟».

اجابت ليليان ضاحكة:

«ما رأيكم لو اقمنا حفلة بمناسبة حضورها؟ من الصعب استيعاب العديد من الناس في الشقة الصغيرة، بينما ويترسويت قادر على احتضان الجميع خاصة وانها ستقيم هنا عندما لا تكون في المدرسة».

قالت بروك بمرارة:

«ولكننا لم نتعرف اليها بعد. لعلها ناضجة بما فيه الكفاية، فالجنس اللاتيني ينمو بسرعة، اليس كذلك؟ قد تكون مختلفة تماماً عن توقعاتنا».

سألتها ليليان وقد نفد صبرها:

«وما الفرق؟ كل الفتيات يحببن الحفلات! هذا اقل ما يمكن ان نفعله لها بعد كل ما قدمه بول لنا من خدمات، خاصة وانه يحبها جداً. لقد اخبرني انه رآها مرتين فقط خلال السنوات الاربع الماضية. يا لها من طفلة مسكينة. يبدو ان عمتها امرأة طيبة القلب، لكن لا بديل عن عطف الام

وحنانها». التمعت دمعة في عيني ليليان، مسحتها بيدها واضافت:

«هل حدثك عن ام الابنة؟ انا لا اجد الشجاعة لسؤاله».

قالت بروك:

«مرة واحدة فقط. واعتقد ان الموضوع مؤلم جداً بالنسبة له».

لم تذكر بروك لأمها ان الطفلة هي ابنة غير شرعية. فالناس يعتقدون، وليليان منهم، انه كان متزوجاً من قبل، وهي لا تريد ان تغير اعتقادهم. وحدها ماجي تعرف التفاصيل، وليس من شيم هذه الصديقة الوشاية او افشاء الاسرار.

وكما توقع الجميع، مر بول عليهم في احد الايام وسألهم ما اذا كانوا مستعدين لاستقبال لوسيا وقريبته كارلا من اجل التعارف. وقد اقترحت بروك ان يحضروا جميعاً لتناول العشاء في اليوم التالي. ودعهم بول بعد ان همس كلمات الشكر في اذني بروك التي لاحظت ان صوته جذاب مثل طلعته تماماً، وانه قادر على اثارة العين والاذن وكل الحواس الاخرى.

رفضت بروك باصرار احضار خدم لاعداد المائدة واصرت على ان تعد كل شيء بنفسها. كانت قد قررت ان لا تجعلها مائدة باذخة، بل عشاء يناسب الظروف الراهنة. اما لويز وليليان فقد هربتا من المطبخ تاركين المهمة على عاتق الاخت الصغرى. فبروك تحب الطهو، وهي مصممة على دراسة فن الطهو على اصوله في مرحلة لاحقة من حياتها. وبعد نقاش وجدال اتفقت مع امها على قائمة الطعام لهذه السهرة الخاصة. فقد ارادت بروك ان تجعل ابنة بول تشعر وكأنها فرد من العائلة.

قبل حوالى نصف ساعة من موعد حضور الضيوف، القت بروك نظرة اخيرة على ترتيبات غرفة الطعام، واطمأنت الى ان كل شيء على خير ما يرام... خاصة الطاولة الخشبية التي صنعت لتستوعب ما لا يقل عن اربعين شخصاً، ولتوضع في منزل ويتر سويت فقط. ونظرت بروك الى المرآة الموجودة في صدر حائط غرفة الطعام تتأمل شكلها استعداداً للقاء الزوار. كانت ترتدي فستاناً ابيض هو البديل الذي اصر بول بلطف ان يشتريه لها مكان الفستان الذي تمزق خلال حادث الغرق. وفوق الفستان وضعت شالاً ابيض اظهر قوامها الرشيق، بينما اعطى شعرها الاحمر المبهر انعكاساً ساحراً على الابيض الناصع... هناك شيء آخر مميز عند بول،

الا وهو قدرته على الاختيار وبذوق رائع.

وقبل ان تبعد بروك نظرها عن المرآة، دخلت عليها امها وهي تصفق بيديها كطفل تلقى للتو هدية قيمة:

«يا لهذه المائدة الجميلة. انت حقاً فنانة يا حبيبتي».

ردت بروك:

«شكراً يا امي. انت تبدين رائعة».

اجابت ليليان وهي تتلمس تسريحة شعرها بدلال:

«هذا لطف منك يا عزيزتي. هل تعتقدين ان شعري قصير؟».

«ابداً. انه جميل جداً. لا يبدو عليك وكأنك تجاوزت الثامنة والثلاثين».

«احمد الله انني على صحة جيدة، واحصل دائماً على حاجتي من النوم. في العشرين كنت فاتنة، بل حتى اجمل من لويز اليوم. وبالمناسبة، تبدين انيقة جداً هذا المساء. انا اقول ان الحب يضفي على المرأة بريقاً خاصاً».

لم تشأ بروك ان ترد على امها، خاصة عبارتها الأخيرة. فليليان تبدو سعيدة الليلة، مثل فتاة صغيرة لا تريد ان تخرج من عالم الاحلام الذي تعيش فيه، وليس من الضروري ان تفسد عليها مزاجها. بعد قليل وصل نيجل وباتريك، فاسرعت لويز بفستانها الازرق لاستقبالهما. وقد جاء هذان الشابان بناء على دعوة من ليليان التي ارادت ان تحفظ التوازن بين الجنس الخشن والجنس الناعم.

دخلت بروك الى المطبخ لالقاء النظرة النهائية على الطعام، في حين كانت لويز تتبادل الاحاديث المختلفة مع الشابين اللذين وصلا للتو. ثم تبعها نيجل الى المطبخ للسلام عليها، قائلا:

«هل استعدت السيارة يا عزيزتي؟».

ردت بروك بلطف:

«ليس بعد. لقد تولى بول كل شيء. فالسيارة مصابة باضرار في المقدمة، وكان من الصعب العثور على قطع غيار لها، فاضطر لطلبها من لندن».

علق نيجل قائلا:

«هذه فوائد ان يكون المرء مليونيراً». ثم تقدم باتجاه طاولة اعداد الطعام

متسائلا:

«لا اظنك اعددت كل هذه الاصناف بنفسك يا عزيزتي؟».

قالت بغرور:

«كل شيء في يوم واحد! الطعام والحلويات وكل شيء».

«وماذا ايضاً؟».

«صينية اللحمة، خبز بالثوم، الارز المطبوخ والسلاطة على الطريقة الايطالية».

هتف نيجل بحماس:

«رائع. لست فقط طباخة ممتازة، بل ايضاً العقل الذي يعمل».

قالت بروك:

«السمك والصدف هما المقدمة». وفجأة استدارت نحو الباب متسائلة:

«هل تسمع اصواتاً؟».

انصت نيجل ناحية الباب ثم قال:

«الافضل ان نذهب. وقبل ان تنضم الى المجموعة دعيني ارتب لك الشال... فالصورة يجب ان تكون مكتملة».

استدارت ببطء، لكنه بدلاً من ترتيب الشال وضع كفيه على كتفيها وقال:

«هم... يا لهذه الرائحة السحرية. ما هو عطرك يا عزيزتي؟».

«ان تصرفاتك غير لائقة... عطري هو جان باتو».

قال نيجل:

«هذا ما اعتقدت. هل تريدين سماع ما افكر فيه؟».

ردت بروك بحزم وهي تفكر ما اذا كان من الضروري ان تصرخ في وجهه:

«لا اريد سماع شيء».

لم يكن نيجل راغباً في قصر الحديث، فقال:

«حسناً، اراهن على انك تفكرين في الزواج من كوربلي».

«في هذه الحالة عليك ان تتركها فوراً».

كان الباب مشرعاً، وهناك وقف كوربلي حاملا مجموعة من الهدايا، ينظر الى نيجل بغضب ينذر بشرور متطاير.

قالت بروك بنعومة في محاولة لترطيب الجو المتوتر:

«انا اخطأت. . . انا السبب في ذلك».

قال بول متعمداً اللطف:

«شكراً لك يا نيجل».

ولم يكن نيجل ليحتاج الى اكثر من نظرة واحدة من عيني بول الحادتين، فاتجه الى الباب قائلاً:

«لا تتركونا ننتظر كثيراً».

خيم صمت ثقيل للحظات، قطعته بروك قائلة:

«علينا ان ننضم اليهم. هل تسمح لي بالمرور؟».

انحنى لها، ثم وضع الاغراض على احدى الطاولات، ولما حاذته امسكها بذراعها بشدة.

سألته وقد افزعتها نظراته الحادة:

«ماذا في الأمر؟».

اجابها بوضوح:

«لا فائدة من العبث مع واتلينغ. لست خطيبتي بعد، لكن من الافضل له ان يبتعد عنك. . . واريدك ان توصلي له هذه الرسالة».

اجابته باستغراب:

«انك تمزح ولا شك».

رد بحزم بحيث اضطرت بروك الى التراجع، وقال:

«ابداً. انا جاد تماماً».

غيرت بروك مجرى الحديث قائلة:

«انها امسية رائعة. فهيا بنا ننضم الى الجميع كي اتعرف الى ابنتك».

«معك حق، هيا بنا».

ابعد يده عن ذراعها فجأة فاحست كمن كان سجيناً واطلق سراحه. عليها ان تشكره على الهدايا التي احضرها معه، لكن شيئاً ما في اعماقها كان يمنعها من ذلك.

ثم قال لها بصوت عادي:

«تبدين صارخة الجمال هذه الليلة».

ردت عليه مستعملة الاسلوب نفسه:

«كان اختيارك للثوب موفقاً».

وافق بجفاء:

«صحيح. انت الآن جميلة بقدر ما انت عنيدة. هيا بنا ايتها الصغيرة كي اعرفك الى لوسيا وكارلا. فلوسيا بامس الحاجة الى صديقة تلجأ اليها».

شيء ما في كلماته حطم الى حد بعيد جو العداء الذي كان مخيماً بينهما. فعندما دخل الى المطبخ قبل قليل، سبب لها على الفور شعوراً بالخوف لا يوصف. وخلال لحظات استطاع ان يغير مسار الأمور بحيث جرها الى عالم عاطفي خطير. لقد لاحظت من تعابير وجهه انه يحب ابنته ويريد لها كل الخير، وهذا ما توافقه عليه تماماً.

كان الجميع ينتظرون في الصالة الصغيرة ريثما تحضر بروك برفقة كوربللي من المطبخ.

صرخت ليليان بنبرة قلق:

«اخيراً يا حبيبي. تعالي اعرفك على لوسيا وكارلا».

كانت لويز تقف الى جانب امها بحياء. ثم اقترب بول ليتولى مسؤولية التعريف. لم تستطع بروك ان تخفي دهشتها عندما شاهدت ابنة بول. فقد كانت تتوقع ان ترى امامها نموذجاً للجمال الايطالي، خاصة اذا قارنت الابنة بالأب الجذاب. لكن لوسيا كانت ضعيفة، قصيرة القامة، خجولة. . . وان اخذت من ملامح ابيها عينيها السوداوين الحادتين وشعرها الاسود الطويل.

قالت بروك مخاطبة الصغيرة بنعومة واضحة:

«كيف حالك يا لوسيا. كنت انتظر هذه اللحظة منذ مدة».

رفعت لوسيا عينيها بخجل وقالت:

«هذا لطف منك! ابي محق عندما قال انك رائعة الجمال». ثم التفتت الى لويز وليليان متابعة «كلكن جميلات».

اخذت ليليان يد لوسيا وربتت عليها بحنان قائلة:

«انك طفلة طيبة».

صحيح ان لوسيا كانت خجولة ومرتبكة بعض الشيء، الا ان كارلا استطاعت ان تندمج في المجموعة. . . ثم راحت تتمعن في بروك وكأنها

تتفحصها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. واخيراً على ما يبدو قررت لنفسها ان بروك غير مناسبة لكوريللي. . .

وانتقلت الى رفقة الآخرين.

انهمكت كارلا في اخبار الآخرين عن اللطف الذي احاطها به كوريللي عندما كانا في كينيا قبل سنوات طويلة. اما نيجل فكان يقف على مقربة من النساء يستمع الى احاديثهن باستمتاع، بينما بدا على باتريك الاهتمام بحيوية كارلا وجمالها الخاص. وقد شعرت لويز بنوع من الغيرة من هذه الزائرة الغريبة، ليس لأنها تعلق امالاً كبيرة على الشابين بل لانها ترغب في الاحتفاظ بمعجبيها على طول الخط.

تلقت بروك عدة نظرات قاسية متفحصة من قبل كارلا وهما على طاولة العشاء. لم تكن تلك المرأة الايطالية جميلة كما اعتقد الجميع للوهلة الاولى، لكنها جذابة بشكل لا يصدق وهذا واضح من تقاطيع وجهها المتناسقة.

وسرعان ما اندمجت كارلا في المجموعة مركزة اهتمامها بنيجل وباتريك. . . طبعاً بدون ان تنسى بول الذي حظي منها بالتفاتات خاصة تدل على انها عرفا بعضهما جيداً في كينيا. ولاحظت بروك ان تصرفات كوريللي ظلت عادية في مواجهة الجميع. فاذا ما كانت كارلا قد ارادت ان توحي للآخرين بوجود شيء خاص مع بول، الا ان شخصية هذا الاخير جعلت محاولاتها تقف عند حد معين.

كانت اصناف الاطعمة التي حضرتها بروك جيدة فعلاً. ولم تدع ليليان فرصة تفوت الا وامتدحت فيها جهود ابنتها وذوقها الرائع. اما كارلا فقد اعترفت وان مجبرة بقدرة بروك على طهو الطعام اللذيذ، لكنها اشارت الى انها هي ايضاً طباخة ماهرة. وهنا اقترح نيجل ان تبرهن على اقوالها في وقت قريب.

وتعمد الجميع، باستثناء كارلا، اعطاء اهتمام خاص للوسيا بحيث افسحوا لها مجالاً لتناول طعامها بهدوء وفي الوقت نفسه الدخول معها في احاديث متنوعة عن البلاد الجديدة التي جاءت اليها. وقد كانت لوسيا ترتدي فستاناً زيتي اللون انعكس شحوباً على وجهها الصغير، بحيث تساءلت بروك في سرها عن الاسباب التي منعت كارلا من اختيار ثوب مناسب لتلك الصغيرة تماماً مثلما اختارت لنفسها.

بعد انتهاء الجميع من طعامهم، احضرت بروك القهوة من المطبخ. وبينما هي توزع الفناجين لاحظت ان بول ينظر اليها باعجاب واضح. التقت نظراتهما للحظات.

كانت كل ملامح كوريللي تبتسم لها. وقبل ان تبعد عينيها عنه لشعورها بالاحراج، انتبهت الى ان كارلا كانت ترمقهما بنظرات حادة وكأنها تمزق البسمات المتبادلة بينهما. وهنا نهض بول لمساعدتها في توزيع الفناجين بينما الجميع مسرورون للسهرة الناجحة جداً.

ما ان حلت الساعة الحادية عشرة حتى بدأ الحضور بالاستعداد للرحيل. وعند الباب اقترب بول من بروك فجأة وعانقها بلطف. كانت الحركة مفاجئة بحيث تضرجت وجنتا لوسيا خجلاً، اما كارلا فقد اكفهرت غضباً وشحب لونها على الفور.

وعندما غادر آخر ضيف البيت، همست لويز في اذن اختها بحماس:

«انها غيرى. . . اؤكد لك انها غيرى».

قالت ليليان وهي تنظر الى بول.

«يا لها من طفلة مسكينة. لم اشعر بالاحراج في حياتي مثلما شعرت به اليوم. من يصدق ان لبول ابنة بسيطة ساذجة على هذا الشكل؟ كدت اعتقد للوهلة الاولى ان كارلا هي ابنته، لكنني تأكدت من خطأي عندما دخلت الى القاعة المضاءة. ولا شك ان كوريللي لاحظ ذلك».

اغلقت بروك الباب الخارجي، ثم توجهت مع امها واختها الى القاعة وهي تقول:

«اعتقد انها كانت حفلة ناجحة. اما لوسيا فهي فتاة حلوة ومتواضعة».

علقت ليليان وهي تطفيء الانوار:

«بل خجولة جداً، بعكس الآنسة كارلادي كامبو. واعتقد انه من الافضل لك ولبول الزواج باسرع وقت ممكن».

قالت لويز وهي سارحة في احلامها:

«تبدو القصة وكأنها حلم ساحر».

اجابت بروك بحدة:

«حلم غبي ساخر على ما اعتقد».

تنهدت ليليان قائلة:

«وارجوك يا حبيبتي لا ضرورة للثورة. انا متأكدة ان قلبك في المكان المناسب. فبول سيقدم لنا حياة افضل. كما وان لوسيا الصغيرة ستشعر بالضياع اذا لم يتقدم احد لمساعدتها والاخذ بيدها. فهي لا تستطيع حتى اختيار ملابسها او تسريح شعرها. اقصد ان بول انيق جداً، ملابسه جميلة مميزة وتسريحته عصرية . . . بينما لم تستطع لوسيا ان تختار ثوباً يناسب الحفلة».

اعترفت بروك:

«كان من الممكن ان تقدم لها كارلا بعض النصائح، لكن يبدو انها لا تهتم الا بنفسها وببول».

قالت ليليان:

«لو كنت مكانك لتزوجته على الفور. انا ذاهبة الى الفراش الآن، واتمنى يا لويز ان تقدمي يد العون لاختك».

اعترضت لويز وهي تنظر الى يديها الناعمتين:

«بشرط ان لا اقوم بالجلي».

ردت بروك بجفاء:

«هذا يبين لك كم انت جاهلة بشؤون المطبخ . . . فنحن نملك جلاية كهربائية».

قالت لويز بدهشة:

«لكنني شاهدتك تجلين يدوياً عدة مرات؟».

وافقت بروك:

«عندما يحلو لي الامر افضل ان استعمل يدي، بالاضافة الى ان الجلاية تصرف الكثير من الكهرباء، عند استعمالها بصفة مستديمة».

لكن لويز لم تسمع شيئاً، بل انهمكت بفحص الهدايا التي تركها كوربللي في المطبخ.

في صباح اليوم التالي اتصل بول هاتفياً ليقدم شكره على سهرة العشاء الرائعة. وكانت بروك هي التي تلقت الاتصال كونها استيقظت ابكر من امها واختها. وبعد ان تحدث بول اعطى السماعة لكل من لوسيا وكارلا لتقديم الشكر بدورهما. وطوال الطريق الى المدرسة، كانت بروك تفكر في مشاعر الصداقة المصطنعة التي عبرت عنها كارلا هذا الصباح. ووسط

افكارها المتضاربة كان هناك نوع من الارتياح لان كارلا تقيم في شقة بعيدة عن شقة بول. واستغربت بروك كيف تم اختيار كارلا من بين كل النساء لمرافقة لوسيا الى استراليا، خاصة وانها مرتبطة ببول بشكل او بآخر.

وراحت بروك تفكر بعمق في الايجابيات التي ينطوي عليها الزواج من بول، حتى وان كانت غير محبذة لهذه الفكرة. فهي ستكون سيدة بيتها في ويترسويت، وليليان ولويز ستتمتعان بكل الراحة الممكنة. كما وان بول ملحاح ولن يتخلى عنها بسهولة.

وماذا عن لوسيا؟ خفق قلب بروك بشدة عندما فكرت بهذه الصبية المسكينة التي تحتاج الى العطف والرعاية والمحبة. ولا شك انها كانت وحيدة بعيداً عن ابيها المشغول دائماً. وتساءلت بروك عما اذا كانت لوسيا تعرف تفاصيل حياتها الحقيقية ام ان اباها حور لها الاحداث كي تناسب فهمها وادراكها؟ وبقدر ما قلبت المسألة في ذهنها بقدر ما وجدت انه من الضروري معرفة المزيد عن ام لوسيا. لربما كانت على قيد الحياة؟ لربما هي في مكان ما تخطط للانتقام؟

مر الفصل الدراسي بسرعة غريبة. وقد اغلقت المدرسة الخاصة التي تعلم فيها بروك ابوابها في نهاية شهر تشرين الثاني، وبات باستطاعتها ان تمضي وقتاً اطول مع لوسيا. ففي خلال الشهر الماضي، انشغل بول في عدة رحلات بعيدة، وقد احست بروك ان كارلا لا تهتم بما فيه الكفاية بابنة عمها لوسيا. اذ انها امضت ايامها في تلبية الدعوات والزيارات المختلفة، بينما ذات السادسة عشرة ربيعاً معزولة عن المجتمع والاحداث والناس.

في الاسبوع الاول من الاجازة اتصلت بروك هاتفياً ببول في المكتب، فوجدت انها مثل كل الناس تحتاج الى موعد لمقابلته. وبشيء من الغضب استمعت صامتة الى السكرتيرة وهي تحدد لها موعداً. وكانت على وشك ان تضع السماعة لولا انها مهتمة بلوسيا وتريد ان تساعدها في وحدتها المزعجة هذه.

دهشت بروك لروعة المكاتب التي تحتلها شركة كوربللي، خاصة وانها تزورها للمرة الاولى. اجلستها السكرتيرة في غرفة انتظار انيقة ريثما تبلغ بول بحضورها. في هذه اللحظات شعرت بروك بالاحراج الشديد. الا يمكن ان يعتقد ان هناك املاً يرتجى منها طالما انها تهتم بلوسيا الى هذا الحد؟

وكيف سيتقبل تدخلها في حياة ابنته؟ لقد كانت تصرفاته معها خلال الاسابيع القليلة الماضية قائمة على الشأن العملي اكثر من كونها علاقة حب! لعله ابعد عن ذهنه نهائياً فكرة الزواج منها، فغير موقفه دون ان يضطر الى اعطاء السبب؟

قطعت السكرتيرة حبل افكار بروك قائلة:

«السيد كوربلي سيراك الآن. اعتذر للتأخير، فدائماً هناك شيء طارىء في هذه المكاتب».

اغلقت السكرتيرة الباب خلف بروك التي توجهت للسلام على بول الذي تقدم للترحيب قائلاً:

«لم اتوقع ان تقدمي على زيارتي يا بروك».

«انا لا اصدق اني هنا. لقد انتظرت اكثر من خمس عشرة دقيقة في الخارج».

اعتذر منها مبتسماً، ثم قادها الى مقعد جلدي وثير بالقرب من النافذة.

قالت بروك وهي ترتب جلستها:

«لا اعتقد اني شاهدت في حياتي مثل هذا المكتب الانيق».

جلس بول قبالتها وقال:

«شكراً لك يا آنسة هاول. لا اظنك جئت الى هنا للحديث عن المكتب؟ ماذا في الامر ايتها الصغيرة العزيزة، هل جئت لابلاغي باستمرار رفضك للزواج مني؟».

رفعت رأسها لتواجه نظراته الساخرة:

«الحقيقة اني هنا للحديث عن لوسيا».

رد باستغراب:

«عن لوسيا؟».

«طبعاً الامر في النهاية يعود اليك».

قال ساخراً:

«كنت اتحرق للحديث عنا نحن، لكني اظن ان لوسيا تستحق كل الاهتمام».

تنهدت بروك بصوت مسموع:

«يبدو انك عدواني اليوم».

انحنى نحوها فجأة وامسك يدها بكلتا يديه:

«ابداً. لعلك خيبت ظني الى حد ما، لست أريد اجبارك على الزواج مني، لكنني اعطيتك الوقت الكافي للتفكير».

هزت بروك رأسها بنفاد صبر وقالت:

«ارجوك يا بول، هلا تكلمنا عن لوسيا؟ اعرف انك مشغول جداً، لذلك لا اريد ان آخذ من وقتك الكثير».

«حسناً، هيا ابدأي الحديث. . . » ثم راح ينقل عينيه عليها الى ان وصل الى قدميها فقال: «ان قدميك جميلتان جداً».

ردت بغضب وقد تجمعت سحب العاصفة في عينيها:

«انك تبالغ في اطرائك».

«انت كثيرة العقد يا عزيزتي. . . وسوف احلها لك واحدة واحدة. انت امرأة جميلة وجذابة ومرغوبة، ومع ذلك تجدين الامر مفزعاً».

قالت وهي تعض شفتها السفلى:

«صحيح. . . وخاصة معك انت».

رد بحدة:

«هذا شيء مهم. . . ماذا عن لوسيا؟».

امتلأت عيناها بالاهتمام والعطف وهي تقول:

«هل تسمح لي بمرافقة لوسيا الى السوق؟ واذا لم يكن عندك مانع فانا اريد ان اقص لها شعرها؟ وبما ان الصيف على الابواب فانها تحتاج الى اشياء كثيرة للمناسبات التي قد تدعى اليها». تمهلت في الكلام قليلاً وهي تراقب تعابير وجهه، ولما لاحظت انه غير غاضب تابعت تقول: «ما رأيك بهذه الامور؟».

رفع يدها الى فمه وقبلها بلطف قائلاً:

«سوف تكونين اماً رائعة».

همست بروك وهي تحس بالنار في يدها:

«واذن انت لا تمانع».

اجاب:

«طبعاً يا حبيبتي. ولا ضرورة للقول ان الأب سيدفع».

سحبت يدها بقوة من بين يديه وقالت:

«ممتاز. سأخبر لوسيا بموافقتك».
قال فجأة وقد تغضن جبينه:
«هناك شيء واحد فقط... الا يمكنك ان تشكريني؟».
وقفت بتوتر وقالت:
«طبعاً... طبعاً. شكراً لك».
نهض على قدميه في مواجهتها وحدق ملياً بوجهها الذي تضرج بحمرة الخجل وقال:
«قالت لي لوسيا انها تراك جميلة ولطيفة. انها معجبة بك، واعتقد انها على استعداد لان تحبك... وبهذه المناسبة ارى انه بات من الضروري تحديد موعد لزواجنا».
«كنت اتمنى ان تتناسى هذا الموضوع تماماً».
رد ببرودة:
«لا تكوني مغفلة ايتها الصغيرة. فانا اريد عرساً ضخماً كي اخبر احفادي في المستقبل كم ان جدتهم كانت جميلة ورائعة».
ضغط بول بكفيه على كتفيها، فسكنت بين يديه مرعوبة... ثم سألته في محاولة لتغيير مجرى الحديث:
«ما اسم والدة لوسيا؟ واين هي الآن؟».
امتلأ وجه بول فجأة بملامح الحزن العميق، لكنه لم يظهر ذلك في كلامه الواضح:
«اسمها لوسيا ايضاً. كانت في الثامنة عشرة من عمرها عندما ماتت، وما زلت احمل نفسي مسؤولية وفاتها. كنت اريد الزواج منها، لكنها ذهبت بعيداً وانتظرت كي تضع مولودها. لم اعرف مكانها الا بعد فوات الاوان، جاءت الطفلة قبل الموعد المحدد، وماتت الام قبل ان اصل اليها، اذ كانت تعيش مع زوجين عجوزين عرفا اسمي وعنواني صدفة فارسلا في طلبي. لا يمكن ان تتصوري كيف شعرت انذاك. مسكينة لوسيا... كانت تعتقد انني لا احبها، وكانت تدرك انني في طريقي الى النجاح، لذلك لم ترغب في ان تكون عائقاً في طريقي».
قالت بروك بأسى واضح:
«انا شديدة الأسف». ثم عادت الى الجلوس في مقعدها من فعل

الصدمة وهي تقول:
«هل تعرف لوسيا هذه التفاصيل؟».
«تعرف انني كنت سأتزوج امها لو انها ظلت على قيد الحياة. اقسم على هذا. صحيح انني معروف في القرية بعلاقاتي الكثيرة، لكن احداً لا يشك بشرفي. كانت لوسيا طفلة، ظلاً ضئيلاً يلاحقني في كل مكان، عينين واسعتين تذكراني بالام التي رحلت. حاولت تناسي الامر، لكن القلق لم يفارقني. كانت مثل ابنتي لوسيا، حساسة وخجولة... تعيش من اجل الرجل الذي تحب. ومأساتها الحقيقية انها احبتني انا».
«لا شك انها كانت شجاعة حتى وهي في قمة اليأس. هل لها عائلة؟».
اجاب بقسوة:
«لم يكن عندها احد ليهتم بها. وهكذا صرت تعرفين قصة لوسيا... انها قصة غير مسرة على ما اعتقد؟».
كان بول حزيناً. الرجل الثري الجبار ذو الوجه الساخر ما زال يعاني من آثار الصدمة. قالت له:
«على الاقل، ابنتك عندها هذا الأب».
«كنت اجن وانا افكر بعد سنوات من رحيل لوسيا كيف انها ماتت وحيدة معزولة، وهذا ما دفعني للتمسك بابنتي بالحاح. من اجلها صنعت ثروتي، ومن اجل الابن الذي اريد انجابه في المستقبل... ولذلك اريد الزواج منك». تردد قبل ان يتابع:
«انت لست انانية، بل امرأة مليئة بالعواطف والاحاسيس. اريد جوابك الأن، فانا لست على استعداد لمطاردتك مثل كلب الصيد. متى ستتزوجينني؟».
شعرت بروك بالرعب يملأ اوصالها من عينيه الحادتين الغاضبتين. لم تكن قادرة على تحدي بول لكونها لن تتزوجه. فقد كان صوته مليئاً بالعنف، ونفسه مليئة بالارادة... وبدا وكأنه مشمئز من المماطلة والتسويف اللذين تمارسهما بحقه. ووجدت بروك ان افضل اسلوب للتعامل معه هو اللين والدبلوماسية، فقالت بصوت لطيف:
«ارجوك يا بول».
قاطعها بغضب وهو يقبض على ذراعيها بقسوة:

«لا اريد رجاءك. كم سيستغرقك الأمر للاستعداد للزفاف: شهر، ستة اسابيع؟».

استطاعت ان تنطق من بين مشاعر الخوف:

«ستة اسابيع».

اطلق سراحها قائلاً:

«فليكن ذلك هو الموعد المحدد».

صرخت بروك بعد ان استعادت حريتها ورباطة جأشها:

«اذن هذا هو الموعد المحدد. كوربللي يشتري كل شيء تراه عيناه: أنا، البيت، قطعة أرض...».

كان الغضب يملأ شرايينها. فها هي ضعيفة أمام الرجل الذي يملك كل شيء... ويملكها أيضاً. وبكل الحنق الذي تختزنه في نفسها حملت حقيبة يدها وحاولت التوجه الى الباب، لكنه سحبها نحوه بقوة مفاجئة بحيث وجدت نفسها مسمرة بين ذراعيه.

قال بحدة:

«ما الذي يجعلك تتصرفين هكذا؟ انك مثل الوردة التي تحيط بها الاشواك؟ في البداية قلت انك تكرهينني بشدة... اما الآن فانت غاضبة لانني لا اعانقك كما ترغبين».

صرخت وهي تحس بعمق الاهانة:

«انني لست واحدة من نسائك العديدات».

تقلص وجهه وهو يقول:

«انت امرأتي الخاصة، ومن الافضل لك ان تعرفي ذلك».

وفجأة غابت الدنيا عن ناظريها، اذ اقترب نحوها بخطوة واضحة وعانقها بقوة لم تعهدها من قبل. لم تكن قادرة على المقاومة، فخطوته المفاجئة اربكتها من جهة وجعلتها تغيب في مشاعر لذيذة من جهة اخرى. وقد حدث كل شيء بسرعة فائقة بحيث ظلت للحظات ملتصقة به دون ان تستطيع عنه فكاكاً. واخيراً ابتعدت عنه لاهثة وقالت:

«لقد وعدت بانتظاري حتى اكون جاهزة».

نظر اليها متمعناً:

«ألست مستعدة بعد؟».

صرخت دامعة العينين:

«انك لا تحبني، وانا لا احبك انه زواج فاشل».

تراجع بول الى الوراء كي يتناول سيكارة من على الطاولة وهو يقول:

«وهل تتمنين ان نحب بعضنا؟».

«لقد اخبرتك من قبل انه من الخطأ الزواج بدون حب».

قال بلهجة من يستجوب شخصاً آخر:

«لكنك لا تسمحين لي بذلك. فانا اريد امرأة واحدة وليس ست او سبع نساء كما تعتقدين. دعيني ارعاك وكأنك فتاة صغيرة، واعدك بانني سأكون عند حسن ظنك».

سألته بحماس:

«هل تتعهد بذلك فعلا؟».

«فقط حتى وصولك الى مرحلة اكتشاف الذات».

«اذن سآخذ كلامك على محمل الجد».

ابتسم بهدوء وقال:

«طبعاً. ان امك تحب ان تتولى كل الترتيبات بنفسها. وأنا اريد ان يقام حفل استقبال الزفاف في ويترسويت».

تخضبت وجنتا بروك بالدم وهي تتناول حقيبة يدها قائلة:

«اذا كانت عندك قرارات جديدة، فدعني اسمعها الآن رجاء».

رد دون مبالاة:

«يا لك من طفلة مسكينة. على كل، انا ممتن لاهتمامك الكبير يابنتي. انها تعتقد اننا غارقان في الحب... فارجو ان لا تدمري لها هذا الاعتقاد».

قالت بروك فجأة:

«وماذا عن كارلا؟».

تجهم وجه بول للحظات، ثم عاد الى هدوئه قائلاً:

«وما دخل كارلا في هذا الموضوع؟».

سارت بروك نحو الباب وهي تقول:

«ما الذي يجعلها تتمتع بالحقوق التي تمارسها الآن؟».

رد ساخراً:

«القليل من الغيرة لن يؤذيك. لكن كيف تكون هناك غيرة حيث لا

وجود للمشاعر؟».

لم تجب بروك على عبارته الاخيرة، واكتفت بالقول وهي واقفة عند الباب:

«سآخذ لوسيا الى السوق اليوم اذا لم يكن عندك مانع. هناك مجموعة من تلميذاتي حضرن لزيارتي من برنتليه وانا اريدها ان تلتقي بهن عندما تكون مستعدة، اذ انها بحاجة الى رفقة فتيات من العمر نفسه. فيما بعد ستناقش ما قررت بشأن اكمال دراستها، مع انني افضل برنتليه ذات الشهرة المعروفة». سكتت قليلاً كي ترجع خصلات شعرها الى الخلف ثم قالت:

«واعتقد ان حمرة الشفاه زالت عن شفتي، أليس كذلك؟».

حدق فيها طويلاً ثم ضحك:

«لنقل انه لا يبدو عليك انك استاذة مدرسة».

ودعته بسرعة وهي تقول:

«سأعيد وضع احمر الشفاه في وقت لاحق... وداعاً الآن».

كانت رحلة السوق رائعة جداً لولا ان كارلا اصرت على مرافقتهما، رغم ان لوسيا لم تكن راغبة بذلك بشكل غير مباشر. وهكذا وجدت الصبية نفسها ممزقة بين الانطلاق والارتياح لبروك وبين المعاملة الساخرة التي تلقاها من ابنة عمها. واخيراً قررت بروك ان تفتح الموضوع مهما كان الثمن. فالفستان الذي قاسته لوسيا اخيراً كان رائعاً الا انه لم يعجب كارلا التي طلبت اختيار غيره. وعندما ذهبت لوسيا لتغير الفستان، قالت كارلا وهي تجلس في مقعد وثير:

«يالها من طفلة ساذجة مسكينة».

ردت بروك بلهجة انسى مما كانت ترغب:

«يجب ان لا تزعجيها. فيمكن ان تصبح جذابة جداً اذا اعطيناها الفرصة المناسبة».

اجابت كارلا بحدة:

«هذا اعتقادك! قولي لي، لماذا تفعلين هذا؟ أمن اجل بول هذا الاهتمام بالابنة؟».

قالت بروك بحزم:

«من اجل لوسيا فقط. انني احبها، خاصة وانها لا تملك السلاح الكافي

لمواجهة اناس مثلك. فمع انك ابنة عمها، الا انك تفعلين كل ما بوسعك من اجل تدمير ثقتها بنفسها».

احتقن وجه كارلا بالغضب وهي تقول:

«كلام سخيف... فأنا اداعبها فقط. انني لست ابنة عمها، رغم انني وصلت الى مرحلة كدت ان اصبح فيها خالتها زوجة ابيها».

«وانا مسرورة لان الزواج لم يتم، لانك غير قادرة على التعامل معها بحنان ومحبة.

لست افهم كيف جئت معها في هذه الرحلة؟ فهي تتكلم باحترام شديد عن عمتها وزوجها واولادهما.

ولا شك انهم قبلوا مرافقتك لها لاعتقادهم بانك ستهتمين بها كثيراً».

سألتها كارلا بتهكم:

«... وانا غير مهتمة بها؟ لقد طلب مني بول الحضور شخصياً يا آنسة هاول... ولعلك لاحظت انني مستعدة لان افعل كل شيء من اجل بول». ترددت للحظات قبل ان تكمل ضاحكة: «وكما ترين، عدنا الى الأيام الخوالي».

واجهت بروك التهكم بلهجة واثقة:

«اعتقد انك غير سعيدة على الاطلاق لانه ينوي الزواج مني؟».

ردت كارلا بحدة:

«المهم متى يحدث الزواج؟ انت لست من طراز النساء اللواتي يرغبهن بول. كيف تتوقعين ان تتعايشي مع رجل من نار وانت مجرد فتاة لا خبرة لها في الحياة. لن تكوني قادرة على فهمه واسعاده، بل ستدمرين حياته من اساسها».

اجابت بروك بنعومة رغم ان قلبها يخفق بشدة:

«لا اظن ان بول يرى الأمور مثلما ترينها انت».

هزت كارلا رأسها بشكل لم تفهم له بروك معنى، وقالت:

«بول ليس راغباً فيك، بل هو طامع بالحياة الاجتماعية الراقية. انه يريد هذا البيت الضخم الذي يحمل الكثير من الابهة والعظمة. فمنذ ان كان طفلاً صغيراً وهو يحلم بالمجد.

لقد صنع نفسه بنفسه واصبح مليونيراً، ومن هنا خبرته الواسعة

اصبح الآن الرجل الثري الذي يستطيع شراء كل شيء. . . لكنه لم ينس طفولته البائسة. لا شك عندي بانك تملكين شيئاً بالمقابل. . وانت تعرفين تماماً ما هو».

اجابت بروك ببرودة قائلة:

«اذن وافق شن طبقة. انا سعيدة بهذه الصفقة لان بول يملك اشياء كثيرة ليقدمها لي».

سألت كارلا وكان افعى سامة لسعتها فجأة:

«مثل ماذا؟».

ردت بروك بحزم:

«الامر لا يعنيك ابداً».

وعندما شاهدت لوسيا قادمة قالت بصوت خافت:

«اقترح ان نعلن هدنة مؤقتة الآن، فها لوسيا قد عادت، وانا لا اريدك ان تزعجيها. . انت تعرفين ان بول لا يحب ذلك».

جمدت كارلا في مكانها للحظات، ثم هبت على قدميها وقالت بعجرفة:

«اعذراني الآن، فلقد مللت من هذه الرحلة المتعبة. سأراك فيما بعد يا لوسيا».

ردت لوسيا بعد تردد:

«شكراً لحضورك يا كارلا. سأراك في الشقة مساء، اذ ان ابي سيحضر لاصطحابنا الى الاوبراء».

بعد رحيل كارلا جرت الامور على احسن ما يرام، وان كانت بروك لم تستطع ان تنزع من ذهنها صورة كارلا وبول ولوسيا معاً في الاوبرا. فمهما حاولت ان تراقب ذلك الابطالي الجذاب، فهناك دائماً امرأة ما الى جواره. اولا كانت كاثي بيتون واليوم كارلا. . . والله وحده يعلم كم يوجد غيرهما.

انهت لوسيا ارتداء قميص اختارته لها البائعة في المحل، ووقفت تنتظر حكم بروك التي قالت بعد تمعن طويل:

«رائع. تبدين في قمة الاناقة. والآن ما رأيك في شراء بعض ملابس الرياضة؟ فنحن نستطيع ان نسبح ونلعب كرة المضرب في هذه المنطقة. انا شخصياً لاعبة ممتازة في كرة المضرب، وعندنا في وينتر سويت ملعب

خاص. . . فما رأيك بذلك؟ كما وانني اريد ان اقيم حفلة لمجموعة من تلميذاتي وهن في مثل سنك».

لاحظت بروك ابتسامة لوسيا القلقة، فقالت تطمئنها:

«لا ضرورة للقلق. سأكون الى جانبك دائماً. وأؤكد لك ان الامر سيكون ممتعاً حقاً». ثم ادارت رأسها نحو البائعة وقالت:

«انت تعرفين نوعية الملابس التي اقصدها: قمصان وتنانير واحذية تناسب الشابات الصغيرات، وذات الوان متناسقة ايضاً».

في هذه الاثناء اقتربت منهما صاحبة المحل التي كانت مشغولة في مكان آخر، وقالت بعد تفحص القميص الذي اشترته لوسيا:

«جميل جداً. انه يناسب الشابات الناعمات. وبالمناسبة يا آنسة هاول، لقد استلمنا للتو بضاعة جديدة اريدك ان تلقي نظرة عليها. . . كأنها صنعت خصيصاً لك».

ابتسمت بروك ووافقت على القاء نظرة عابرة برغم انها عاجزة عن دفع الثمن المطلوب في مثل هذه المحلات. صحيح ان ليليان ولويز زبونتان دائمتان للمحل، لكن بروك لا تستطيع استعمال عبارة «اضيفيه الى الحساب» مهما كلف الامر. اما لوسيا فهي غير مضطرة للتفكير بهذه المشكلة، فبول على استعداد لدفع ثمن ما تشتريه بدون اعتراض. وهذا ما تدركه صاحبة المحل المسرورة جداً بخدمة ابنة بول كوربللي الشهير.

بعد الانتهاء من شراء اللازم والاتفاق على موعد وطريقة ارسال الاغراض الى البيت، تناولت بروك ولوسيا غداء خفيفاً مع فنجان من القهوة في احد المقاهي. وطوال الوقت كانت لوسيا تحتج محرجة بانها تأخذ الكثير من وقت بروك. . . لكن هذه الأخيرة اكدت لها انها تستمتع برفقتها الى حد بعيد.

القى مصفف الشعر ريموند نظرة متفحصة على شعر لوسيا، التي جلست في صالون الحلاقة وهي مرعوبة تماماً. بينما جلست بروك في المقعد المجاور وهي تقول:

«الشعر جميل وغزير، وانا على ثقة من انك ستبرز روعته بشكل ما يا ريموند».

قال ريموند ويداه تنتزعان الدبابيس من شعر لوسيا الذي انهمر غزيراً

ناعماً:

«اولا يجب التخلص من الشعر الزائد. فهذه التسريحة تناسب السيدات المتوسطات في العمر».

ابتسمت بروك للوسيا التي فوجئت بكلمات ريموند، ثم قالت لمصفف الشعر:

«لقد التقطت الفكرة سريعاً؟ ثم استدارت نحو لوسيا قائلة: «سأغيب عنك حوالى الساعة تقريباً. ستكونين بأمان بين يدي ريموند فهو احد افراد العائلة تقريباً».

قال ريموند:

«وبالمناسبة، كيف حال امك؟ كانت التسريحة التي صممتها خصيصاً لها جميلة جداً».

ابتسمت بروك موافقة، ثم نهضت وهي تقول:

«وبالنسبة للوسيا، اعتقد ان القصة المتوسطة الطول التي تبعد الشعر عن وجهها تناسبها تماماً».

ردّ ريموند مازحاً:

«دعي الامور لي ايتها الآنسة الصغيرة».

غادرت بروك صالون الحلاقة وهي تشعر بالاطمئنان والارتياح. فريموند هو الوحيد القادر على ابراز روعة جمال شعر لوسيا. وقد تأكد هذا عملياً عندما عادت بعد ساعة تقريباً لتجد ان ريموند حول زبونته الشابة من فتاة عادية الى مراهقة جذابة جداً. فوجئت بروك بالتغيير، بينما لم تستطع لوسيا اخفاء ابتسامة الرضا عن شفتيها... وحتى ريموند بدا سعيداً جداً بما انجزت يداه.

وفي الطريق الى البيت، بعدما لاحظت لوسيا نظرات الاعجاب الموجهة نحوها، رفعت الشابة الصغيرة رأسها بارتياح وهي تدرك لأول مرة انها تملك جمالاً يستطيع ان يلفت الانظار. كما ادركت بروك ان لوسيا بدأت تتصرف وكأنها انسانة جديدة تماماً.

٦ - العيون نوافذ القلب

أما وقد التزمت بموعد محدد مع بول، فلم يعد امام بروك اي مجال للتراجع. كانت وكأنها على متن زورق بخاري لا تملك هي دفته، يسير بها نحو المجهول بدون ان تستطيع منعه او حتى التفكير في المصير الذي ستؤول اليه. وجدت نفسها فجأة في خضم لا ينتهي من الدعوات. لقد انتشر نبأ خطوبتها، وبات الجميع راغبين في التعرف الى العريس المنتظر. صحيح ان اسمه على كل شفة ولسان، لكنهم يريدون لقاءه قبل ان توجه اليهم الدعوة الرسمية لحضور حفل الزفاف.

وبصفته الخطيب السعيد الحظ، كان بول يرافقها الى كل مكان بدون ان يحاول استغلال وجوده معها، بل كان يتصرف بكل ادب وفروسية... وفي احيان كثيرة بنوع من الحذر. كان الجميع يتصورون ان خطبة بروك وبول هي تتويج لاجمل قصة رومانسية في المنطقة، وقد تجاوب بول مع هذا التصور وراح يتصرف وكأنه غارق حتى اذنيه في الحب علناً على الأقل، لأنه لم يكن يظهر ذلك ابداً وهما لوحدهما.

عادت ليليان مرة اخرى الى لعب دور المضيفة بعد ان بات تحت تصرفها مبالغ لا تعد ولا تحصى. فالى جانب الحفلات المتنوعة التي اقيمت بمناسبة او من غير مناسبة، فقد بدأت التحف والاثريات التي بيعت خلال الفترة الماضية تجد طريقها مجدداً الى وينترسويت. وفي هذه الاثناء، حدد بول موعد الزفاف في الحادي عشر من شهر كانون الثاني المقبل، وهو ذكرى ميلاد ليليان. ولم يعد امام بروك مجال للتراجع، فكل الذين تعرفهم سعداء بالحدث...! باستثناء كارلا طبعاً.

كانت حفلة الخطبة رائعة جداً، حضرها ما يزيد عن ثلاثمئة مدعو، وهو ما لم يحدث حتى في زمن الجد الأول. وبعد الحفلة انهمك جميع الأهل والأصدقاء بالاستعداد للزواج. وقد انشغلت ماجي بالبحث عن التحف والاثريات التي يبعث، وراحت تعرض على اصحابها الحاليين اسعاراً لا يمكن ان يرفضوها. وكل ذلك من اجل اعادة ويترسويت الى سابق مجده قبل حلول موعد الزفاف. والى جانب عمل ماجي، كان هناك عشرات من العمال الزراعيين والبنائين للعمل في الحدائق وبعض الغرف الداخلية. هذا بالاضافة الى مئات الهدايا التي انصبت على البيت قبل الزفاف على عادة اهل استراليا في هكذا مناسبات.

وسط دوامة العمل هذه، اكتشفت بروك في بول الجانب العملي الذي جعله يقوم بالعديد من القضايا بدون ان تظهر عليه علامات الارهاق والتعب. فهو يرافق بروك الى كل مكان، ويوجه ماجي في سعيها لاعادة التحف، ويزور ويتر سويت كل يوم للاشراف على سير العمل... بالاضافة الى متابعة شؤون وشجون شركاته واعماله المتنوعة.

تم التوصل الى تسوية بين ليليان وبول بدون علم بروك التي وجدت انه من غير المناسب الاستفسار عنها، خاصة وان ليليان ولويز كانتا سعيدتين للغاية وهما تعدان كل ما يلزم للحفلة الموعودة. ومع ان بروك كانت تشعر بالمرارة الى حد ما، الا انها لم تظهر مشاعرها هذه علناً... فبول لا يمكن ان يتحمل غضبها ومشاكلها.

في الليلة التي تسبق موعد الزفاف، انعزلت بروك في غرفتها وغرقت في نوبة بكاء حادة. وكانت تتمنى لو تبقى هناك الى الابد، لولا ان امها وقفت خارج الباب وهي تقول:

«افتحي لي الباب يا حبيبتي».

ارادت بروك ان تصم اذنيها عن صوت امها، لكنها تعرف ان ليليان لا يمكن ان تتراجع ابداً. لذلك مسحت دموعها بسرعة وفتحت الباب لامها التي كان يبدو على وجهها القلق البالغ:

«ابنتي الغالية! لا تبكي يا عزيزتي، يجب ان تكوني في اجمل حلة تمهيداً لحفلة الزفاف».

وبدلاً من ان تخفف هذه الكلمات من الجو المأساوي، ازدادت الحالة

سوءاً... وعادت نوبة البكاء الى بروك التي انطرحت على الفراش وهي تنتحب بشدة. في هذه الاثناء، دخلت لويز الغرفة لتشاهد اختها على هذه الحالة، فصرخت:

«ماذا حدث يا امي؟ ماذا في الأمر؟».

ردت ليليان بنعومة:

«لا شيء، مجرد شعور بالحزن المفاجيء يحدث دائماً قبل الزفاف».

توجهت لويز الى شقيقتها وراحت تمسح على رأسها وهي تقول:

«سيكون زفافاً رائعاً يا بروك. فستانك وفستاني من صنع افضل المصممين. ولا تنسي ان تعطيني باقة الورد عندما تنتهي مراسم الزفاف».

ابتسمت ليليان:

«لا تقلقي يا حبيبتي. جمالك سيبهر الابصار في لندن. ارى ان نذهب الى هناك اولا. فالسفر يعطي المرء متعة ما بعدها متعة، وقد وعدت بول بزيارة شقيقته في كينيا. اعتقد ان لديهم املاكاً شاسعة هناك... واغلب الظن انهم لا يعترفون بلوسيا. لقد فعلت المعجزات مع هذه الصغيرة، فهي تبدو صارخة الجمال هذه الأيام».

نادت لويز اختها:

«بروك؟».

جلست بروك في سريرها تمسح الدموع عن وجنتيها وتقول:

«لا بأس الآن، اذهبا الى النوم. فأنا ابكي دائماً عندما اكون في حالة من السعادة الغامرة».

كانت يداها ترتجفان، لكنها حاولت اخفاءهما عن امها واختها. نهضت ليليان وهي تقول:

«اجل. يجب ان نذهب الى النوم». ثم سارت نحو ابنتها الصغرى وقبلتها قائلة:

«فليباركك الله يا حبيبتي. اعرف انني سأبكي غداً، فنحن عائلة واحدة مترابطة...».

قاطعتها بروك من بين شهقات البكاء:

«ارجوك يا امي».

«انت متعبة يا صغيرتي بعد كل ما جرى لك مؤخراً. انزلي الى المطبخ يا

لويز واحضري لاختك كوباً من الحليب».

ابتسمت بروك وهي تقول:

«افضل شيئاً ساخناً».

قالت الأم:

«اسرعي يا لويز، فصغيرتي الحبيبة تحتاج الى شيء يهدىء اعصابها».

«هذا صحيح، فأنا على وشك الانهيار».

جمدت لويز في مكانها للحظات وقد عقدت الدهشة لسانها، ثم قالت:

«انت تحبينه يا بروك، اليس كذلك؟».

انفجر في داخل بروك كل ما تحتمل به نفسها من غضب وحزن، وقالت:

«طبعاً يا عزيزتي. هل انت متأكدة ان ذلك لا يزعجك؟ لم يمض وقت طويل عندما كنا نخطط لعرسك انت».

ردت لويز بلطف بدون ان تتأثر من كلام شقيقتها:

«لم اكن مناسبة لبول، اما انت فقادرة على التعامل معه. انت تعرفين انني لا اغار منك. اعتقد ان بول مريح كصديق، لكن من الصعب العيش معه كزوجة. . . على الأقل بالنسبة لي. كل الناس يحسدونك. لماذا برأيك سافرت كأني يبتون الى الخارج؟ لم تكن قادرة على البقاء هنا ومشاهدتك وانت تفوزين بافضل رجل في المدينة. بول رائع وساحر. . . لكنني احبه اكثر عندما يكون صهري».

اكدت ليليان كلام ابنتها قائلة:

«امك يا عزيزتي تعيش فرحة لا توصف. عندما اخبرتني في بادىء الأمر ان بول يريد الزواج منك لم اصدق اذني، لكنني ارى اليوم ان الأمور تسير الى النجاح الباهر. فانت تتعاملين بامتياز مع لوسيا التي تحبك كثيراً، وكل ذلك بسبب خبرتك السابقة كمدرسة. اقسم لك انني سأحب زوج ابنتي، اساساً لأنه حفظ وبترسويت للعائلة. على الشبان المقبلين على الزواج ان يبدأوا حياتهم في بيت خاص بهم، وليس افضل من وينتر سويت لك وله. لا شك ان جدي سيكون سعيداً جداً لهذه الترتيبات».

اغرورقت عينا ليليان بدموع الحزن والفرح، ثم تابعت تقول:

«والآن يا عزيزتي سأتركك تنامين. فأمامنا يوم حافل عند الصباح».

وضعت ذراعها حول خاصرة لويز وقالت بلطف: «دورك قريب يا حبيبي. . . امك ستتدبر كل شيء».

بدا على وجه لويز نوع من الشك بقدرة امها، وقالت:

«نسيت ان اخبركما ان باتريك طلب مني الزواج».

ردت ليليان وهي تجر ابنتها معها:

«مسكين باتريك. . . انه غير مناسب لك على الأطلاق».

اجابت لويز وهي تغلق الباب:

«ستستغربين كثيراً اذا ما حدثتك عن التغيير الذي طرأ عليه».

ضحكت بروك بهدوء عندما وصلتها عبارة لويز الأخيرة. . . فهي لم تجد الوقت الكافي لكي تلاحظ كيف ان اختها الكبرى باتت اكثر قوة وارادة خلال الاشهر القليلة الماضية.

غصت الكنيسة بحشد كبير من الأهل والاصدقاء والمعارف الذين دعيوا الى حفلة الزفاف. كان الوقت بعد الظهر، والطقس مشمس جميل. تهادت الصبايا بازيائهن المتنوعة الجميلة وقد حملن باقات الورود المتناسقة والمزينة باشرطة ملونة. بدت ليليان اصغر من عمرها بسنوات كثيرة، وقد وقفت الى جانبها لويز ثم ايما وجين كاربنجي وهما صديقتا الطفولة. . . واخيراً لوسيا بوثبها الوردي الرائع. ومن جهة الرجال وقف الدكتور الانيق اليساندرو بوبيتو ورجل الأعمال البارز روس ماكلاري ابن الثري الكبير جورج ماكلاري.

في آخر الكنيسة كانت بروك ترتجف وكأنها تعيش في جليد القطب الشمالي. وجهها شاحب، متوتر. . . واكثر جمالاً من اي وقت مضى. اما فستانها فقد سرق انظار الجميع بجماله وحسن تصميمه والتطاريز العديدة التي تزينه. واخيراً حان وقت السير باتجاه المذبح حيث ينتظرها الرجل الذي سيصبح زوجها.

مرت المراسيم بدون ان تفقه بروك اي شيء مما يجري حولها. كانت مشاعرها مرتبطة بالرجل الطويل الغامض الذي يقف الى جانبها. فهي غير قادرة على الذهاب معه الى الفراش بالرغم من انه اصبح زوجها شرعاً. لم يحن الوقت بعد. اذ انها ما تزال تعاني من صدمة ما اقدمت عليه قبل قليل، من ربط نفسها وجسدها برباط الزوجية مع بول كوريللي.

وقفا جنباً الى جنب في وينتر سويت لاستقبال المهنئين الكثر . على وجه بروك ابتسامة صفراء، بينما الغصات تمسك قلبها بقبضة من حديد. وظلت على هذه الحالة لعدة ساعات ، لمحت كارلا خلالها وهي تنظر اليها شذراً في اكثر من مناسبة. وعندما حانت لحظة فراغ ، تقدمت كارلا من العروس قائلة :

«تهانينا ابنتها الصغيرة . لقد حصلت على رجل غير عادي كما تعرفين، انا اؤكد ذلك لانه كان لي قبل ان تحصلي عليه».

ردت بروك بعنف وكأنها ترفض الشك بصدق زوجها الجديد:

«انني لا اصدق بكلمة مما تقولين».

فوجئت كارلا بعنف جواب بروك، فقالت:

«لماذا لا تسأليه بنفسك؟».

ابتسمت بروك امام الأعين التي تحدق فيها وقالت:

«لا حاجة لذلك. استميحك عذراً يا كارلا، فلوسيا تؤشر لي كي اراها».

وبالفعل كانت لوسيا تحاول لفت انتباه بروك كي تمنع كارلا من الانجراف وراء غيرتها . . . فتزعج العروس في احلى ليالي العمر.

قالت لوسيا:

«هل كل شيء على ما يرام يا بروك؟ ارجو ان لا يزعجك ما قالته كارلا، فهي غير مدركة لما تفعل الآن».

وقبل ان تجيب بروك، عاد بول الى جانبها، طويلاً جذاباً وساحراً. اقترب منها هامساً:

«حان موعد ذهابنا يا حبيبتي».

تضرجت وجنتا بروك بالدم وهي تحس ان اللحظات الحاسمة قد دنت. اما لوسيا فقد القت نفسها بين ذراعي ابيها الذي ضمها اليه وعانقها بابوة حانية وراح يكلمها بالايطالية. وبعد لحظات ابتعدت الصبية عن ابيها واقتربت من بروك قائلة:

«انني في قمة السعادة لاننا اصبحنا عائلة واحدة الآن».

التمعت عينا بروك بدموع الفرح وهي تلاحظ صدق كلمات لوسيا وسعادتها، وقالت:

«شكرا لك يا حبيبتي».

كان البيت ما زال مزدحماً بعشرات المدعوين الذين توزعوا في الغرف والقاعات حول الموائد العامرة بما لذ وطاب من طعام وشراب، رغم ان الساعة قد قاربت العاشرة مساء تقريباً. وبدا عليهم انهم غير مستعجلين لمغادرة هذا البيت المميز وهذين العروسين الرائعين.

امام اصرار بول، وافقت بروك مسبقاً على تمضية شهر العسل القصير في الخارج. وتم الاتفاق ايضاً على ان يمضيا ليلة الزفاف في شقته، ثم يسافرا في الصباح الى مدينة سان فرانسيسكو لتمضية اسبوع فقط. ذلك ان التزامات بول العملية لا تسمح له بالغياب اكثر من هذه الفترة. لكنهما سيذهبان فيما بعد في رحلة طويلة حول العالم يكونان فيها بعيدين عن الأعمال والمتاعب.

ظلت التهاني تنهمر عليهما حتى اقلعا بالسيارة مغادرين وينترسويت. وآخر شيء شاهدته بروك كان وجه شقيقتها لويز المليء بالسعادة والمحبة، والى جانبها باتريك. عندما اجتازت السيارة البوابة الخارجية، اراحت بروك رأسها وكأنها تنفض عن نفسها متاعب اليوم كله.

قال بول بهدوء :

«انتهى الأمر الآن».

اجابت بصوت هستيري :

«لا، انها البداية الصعبة».

رد بحرارة:

«اهدأي يا حبيبتي. اننا زوجان الآن وانا مرتاح لذلك. لقد وعدتك باحترام كل رغباتك وتلبية كل طلباتك».

ادارت وجهها الى الخارج وهي تسأل:

«متى موعد السفر غداً؟».

حدق فيها لثوان قليلة ثم قال:

«ليس باكراً، عند الظهر تقريباً، لقد كنت فخوراً بك جداً».

لم تجب بروك على الفور، اذ ان شيئاً عاطفياً عميقاً في صوت بول مسها في الاعماق. ولو ان زوجها حاول لمسها في تلك اللحظات لكانت انفجرت باكية تنفض بدموعها كل ما احتقن في نفسها خلال اليومين الماضيين.

اغمضت بروك عينيها وكأنها تسجن مشاعرها في الداخل. . . وعندما فتحتها مرة اخرى كانا قد وصلا الى شقة بول.

خفق قلبها بشدة غريبة، لكنه ظل يتصرف بلطف وحنو، قال لها:

«تعالي ايتها الطفلة الصغيرة قبل ان تتخلي عني».

ترددت للحظات ثم اعطته يدها، فسحبها من السيارة وضمها الى صدره بلطف وراح يحدق في عينيها الخضراوين اللامعتين.

قالت:

«ارجوك دعنا نصعد. ان ثوب الزفاف يزعجني».

رفع احد حاجبيه متسائلاً:

«حقاً؟ انني احبه. فلولا ثرثرتك النسائية لكنت ساحرة الجمال فعلاً. قولي لي: لماذا لم تتغيري؟».

ردت بقسوة:

«لم يكن هناك مجال لذلك».

كانت بروك تخشى هذا الرجل، لكنها تخشى اكثر ضعفها امامه.

وعندما وصلا الى الشقة سألته هامسة:

«هل عاد جياني؟».

جاءتها ضحكة بول ساخرة عالية وهو يقول:

«ارجوك يا حبيبتي. سوف تصدمينه فعلاً بمثل هذا السؤال. فهو يعتقد اننا غارقان في الحب حتى الاذنين».

انار بول الاضواء، فسبحت الشقة في شعاع ملون زادته جمالاً اللوحات الموزعة بفن وتنسيق. ظلت بروك للحظات تتأمل هذا المنظر البديع، ثم راحت تذرع القاعة الرئيسية جيئة وذهاباً وكأنها تريد الهرب من خيالاتها وافكارها المركزة حول الرجل الواقف يراقبها عند الباب.

انهمرت الدموع غزيرة من عينيها بدون ان تحاول ايقافها او مسحها. انها امرأة متزوجة الآن، وبدلاً من ان تتمتع بحياتها الجديدة ها هي ضائعة في عذاب نفسي اليم. اذ لا مجال لاقامة علاقة عادية مع بول، فهو يريد كل شيء او لا شيء.

قال:

«وماذا بك ايتها الصغيرة؟».

ردت بدون ان تلتفت اليه:

«لا شيء. انني متعبة فقط».

انضم اليها قرب النافذة وراح يتأمل المدينة الساحرة التي تطل عليها الشقة من علو شاهق. فبدا الى جانبها وكأنه تمثال جميل نحته فنان مبدع. . . لكن التماثيل لا تملك مثل هاتين العينين السوداوين، ولا تتكلم بمثل ذلك الصوت العميق الذي يمكن ان يذيب الصخر.

سألها فجأة:

«هل انت خائفة مني؟».

اجابت بروك باستسلام:

«وكيف لي ان اخاف، فأنت زوجي وعلي ان اثق بك؟».

«اذن استديري نحوي يا عزيزتي».

اغلقت عينيها عندما احست بكفيه القويتين على كتفيها. سألها بهدوء:

«لماذا هذا التوتر العصبي؟ هل تعتقدين انني ساهاجمك مثل البرابرة كما قلت في احدى المرات؟».

قالت بنعومة:

«كلا يا بول».

«اذن افتحي عينيك».

فتحت عينيها لتجده امامها آسراً جذاباً مسيطراً. كانت تعتقد دائماً انها امرأة عصرية متفتحة، لكنها تكتشف الآن انها مجرد شابة لا خبرة لها في الحياة. هناك هوة سحيقة بينهما من ناحية الطباع والسلوك. وبقدر ما هي جاهلة في الشؤون العاطفية، بقدر ما هو سيد وصاحب باع فيها.

كانت ترتجف تحت يديه، لكنها جاهدت كي تظل عينيها في مواجهة عينيه الحادتين. لمس شفتها السفلى باصبعه وقال بلطف:

«عندي هدية خاصة لزوجتي. كان يومي رائعاً ايتها الصغيرة فلا تفسديه الآن. بعد لحظات ستغرقين في النوم. غرفتي لك، اما انا فسأنام في غرفة الضيوف».

مسحت بروك الدموع عن وجنتيها وقالت:

«عندي لك هدية خاصة ايضاً، لكنني نسيتها في هذه الظروف».

رد بمرح:

«لا بأس. انا اتوقع الحصول عليها في وقت لاحق، وسوف اعتز بها كثيراً».

«لكنك لا تعرف ما هي؟».

قال بصدق:

«المهم انها منك، اليس كذلك؟».

تراجعت بروك الى وسط القاعة، في حين توجه بول الى خزانة حائط مخفية خلف احدى اللوحات. ثم عاد بعد لحظات حاملاً علبة كبيرة مغطاة بالمخمل الأسود وقال:

«انها تحمل توقيع كارتييه... فانا لم اشأ تقديم شيء عادي لك».

فتح العلبة امام عينيها المندهشتين، واخرج عقداً من الماس المرصع بالزمرد على اطار من الذهب والبلاتين مع قرطين مماثلين.

همس وهو يعلق العقد والقرطين:

«انها باهرة... اليس كذلك؟».

لم تستطع بروك السيطرة على اضطرابها، فقالت بدون وعي:

«لا يمكن ان اضعها ابداً».

رد بصوت عميق هادىء:

«على العكس، ستضعينها الآن. إسمحي لي ان اعلقها يا حبيبتي. استديري ايتها العزيزة، وبعد ذلك يمكنك الذهاب الى غرفة النوم».

لامست اصابعه الدافئة رقبتها وهو يضع العقد، ثم جرها الى المرآة كي يريها المجوهرات وقد زينت صدرها واذنيها. لم تكن بروك تتخيل ان يستطيع رجل ما ان يقودها كما يفعل هذا الرجل... زوجها الذي لم يصبح زوجها بعد.

قال بصوت هامس:

«انها اجمل من كل الكلمات. لكن عليك ان تثقبي اذنيك، ويمكننا ان نفعل ذلك في سان فرانسيسكو. انها اجمل مدن العالم، واظنك ستحبينها خاصة واني سآخذك الى كل المعالم المهمة فيها. على فكرة اخي يقيم هناك. وفي المدينة جالية ايطالية كبيرة... واؤكد لك انهم اناس شرفاء وليسوا من المافيا. في البدء فكرت في الاقامة هناك، لكن سيدني تعجبني اكثر، مع ان المدينتين تتشابهان في كثير من المميزات».

لم تستطع بروك ان تتجاوب معه، رغم انها تعرف انه يحاول ازالة الكآبة عن نفسها. فهناك اشياء كثيرة تجهلها عنه، اشياء لم تسأله عنها بعد. فقد كان يعيش حياته حتى العمق بينما هي متقوقعة حول ذاتها تحتمي بالبيت الكبير من تجارب العالم. ابعدت يده عن عنقها ببطء وقالت:

«شكراً لك».

رد عليها بتحد واضح، لكن دون غضب:

«الا يمكنك ان تفعلي اكثر من ذلك؟».

قالت بنعومة:

«ليس الآن. كل شيء جديد بالنسبة لي يا بول. فأرجو ان تقدر ذلك وتصبر؟».

ضرب جبينه بباطن كفه وقال مبتسماً:

«يا الهي. الصبر ليس من مميزاتي. واتمنى ان لا تطلبي مني الانتظار لمدة سنة؟».

«سبق لنا واتفقنا على التفاصيل».

قال بصوت ناعم ساحر:

«معك حق، فأنا لا اريد التنصل من وعودي. على كل، عناق عابر من عروستي ثم اذهب الى فراشي فوراً». وعندما لاحظ ترددها تابع قائلاً:

«تعالي اكتشفي الأمر بنفسك».

وعندما لاحظ الدموع تترقرق في عينيها، تجهم وجهه قليلاً وهو يقول:

«حسناً ايتها الصغيرة، يبدو ان ضميري تغلب علي». ثم رفع يدها الى شفتيه وتابع قائلاً:

«من اجلك انا على اتم الاستعداد لاعادة ترويض نفسي... لكنني رجل ضعيف وفضولي، ولا يمكن ان انام قبل ان احصل على عناق صغير».

رفعت بروك وجهها نحوه وهي مغمضة العينين ولثوان قليلة شعرت انه نقلها الى عالم آخر لم تعرفه من قبل. لكنها سرعان ما عادت الى هواجسها فابتعدت عنه قائلة:

«ارجوك يا بول».

نظر اليها بمحبة قائلاً:

«حبيبتي».

«واريد ان اذهب الى النوم».

رد بصوت متهدج:

«وانا كذلك ايتها العزيزة... حسناً يا صغيرتي، فعندما تصممين على شيء فلا شك انك تقفين عنده».

ارخى ذراعيه من على كتفيها، لكنها لم تتحرك من مكانها. قال لها وقد لاحظ ارتباكها:

«آمل ان تكوني قادرة على تغيير ملابسك لوحدك؟ فلست ارغب في القيام بدور المربية في ليلة عرسي».

ثم رفعها بين يديه وادخلها الى غرفة النوم قائلاً:

«قولي انك لا تقصدين فعلاً كل ما قلته الليلة».

عندما انزلها بول من بين يديه الى السرير، راحت تتأمل تقاطيع وجهه الاسمر وهو واقف الى جانبها. في تلك اللحظات احست انها بدأت تحبه بشكل او بآخر. قالت له بعد لحظات:

«تصبح على خير يا بول».

اجابها بجفاء:

«وانت بخير يا سيدة كوربللي. اذا سمعت صراخاً في الليل فذلك سيكون ناتجاً عن كوابيس تصيبني فاياك ان تذهبي للاهتمام بي، فقد اعتبرها خطوة ايجابية».

امضى العروسان اسبوعاً حافلاً في سان فرانسيسكو. واشترى لها بول معطفاً من الفرو وحذاء جلدياً سميكاً لمواجهة موجة البرد هناك. لكن البرودة لم تمنعهما من التسوق والسياحة وزيارة جبل تامالبيس الذي يطل على المدينة باسرها. كما زارا المطاعم الشعبية المنتشرة على الشاطىء وتناولا فيها الاسماك الطازجة المطبوخة بمهارة، وتجولا في المعارض والمتاحف والحي الصيني حيث اشتريا الكثير من الهدايا. وقام بول برفقة زوجته ايضاً بزيارة صديق فنان يقيم في شارع الفن القريب من جسر سان فرانسيسكو المشهور.

وفي الليلة التي تسبق عودتهما الى سيدني، اقام شقيق بول واسمه ماركو حفلة عشاء خاصة على شرفهما في واحد من المطاعم العديدة التي يملكها في

الحي اللاتيني. وعندما وصل بول وبروك الى المطعم، كان المكان قد ازدحم بالضيوف الذين اتوا لتهنئة العروسين. لم يكن بول يشبه شقيقه ماركو الا في شيء واحد: الديناميكية والطاقة الخلاقة... والقدرة على جمع الثروات. كان ماركو اقصر من اخيه، لكنه ممتلىء القامة اكثر. سبق له الزواج مرتين، وفي المرتين انتهى الزواج بالطلاق. اما الآن فهو بصحبة شابة شقراء رائعة الجمال كانت تقف الى جواره في الحفلة.

كان الجو الحماسي يملأ المطعم، وكثيرون يتكلمون باللغة الايطالية مما يظهر عمق العلاقة التي تربط الايطاليين ببعضهم البعض. ولم تجد بروك صعوبة في ملاحظة انها حازت على رضا الجميع... ولذلك وجدت نفسها على مائدة واحدة مع ماركو وعدد من الايطاليين. ثم بدأت الحفلة.

هذه هي المرة الأولى التي تتناول فيها بروك مثل هذا الطعام اللذيذ وبهذه الكمية. كانت الاطباق تروح وتجيء مثلما تدور الاحاديث الضاحكة الطريفة على السنة الجميع. وعندما حان موعد الرقص، اقترب بول منها داعياً اياها الى الساحة.

قالت مبتسمة:

«لا شك ان ماركو كان كريماً معنا، اذ لم يسبق لي ان تناولت مثل هذا الطعام».

«لقد اثرت فيه بجمالك الخلاب... لكن تذكري انك زوجتي انا».

وبدون وعي، رفعت بروك يدها وراحت تداعب وجنة زوجها الناعمة. كانت هذه هي المرة الأولى التي تقدم فيها على مثل هذه الخطوة... لكن التأثير كان سريعاً وواضحاً:

«اياك ان تلعبي بي يا بروك».

ابعدت يدها عنه بارتباك:

«انا متأسفة».

قال بحدة:

«يجب ان نعود الى الفندق بعد نصف ساعة فقط».

ارادت ان تؤذيه عامدة بعد اسبوع من السياحة والفرح و... الهدوء، فقالت:

«اعتقدت انك مستمتع هنا... مثلي انا تماماً. طلب مني صديقك دينو

ان ارقص معه، وقد وعدته برقصة».

سألها وعيناه لا تحيدان عنها:

«وهل تريدين الرقص معه؟».

كذبت عليه قائلة:

«طبعاً. . . طبعاً. فالايطاليون راقصون ماهرون بالسليقة».

خاطبها بلهجة تحذير:

«اياك من السير في هذا الطريق الوعر».

عندما انتهت الموسيقى، اقتربت فتاة شابة رائعة الجمال وامسكت ذراع بول قائلة:

«هل استطيع ان ارقص مع زوجك؟».

«لوقت محدد فقط».

وما ان ابتعدت الفتاة مع بول، حتى اقترب دينو يسأل بروك عما اذا كانت تسمح له بالرقصة التالية. وافقت بروك على الفور وكأنها تريد الانتقام من علاقتها غير الطبيعية ببول. ووسط الساحة، راح هذا الشاب الايطالي يدندن في اذن بروك لحناً عاطفياً معروفاً. سألته ضاحكة:

«هل هناك شخص ايطالي يجهل الغناء؟».

رد مبتسماً:

«طبعاً، هناك الكثيرون. ان بول محظوظ جداً لانه عثر على زوجة جميلة مثلك».

فتحت عينيها الخضراوين بدهشة:

«الست ابدو غريبة الى حد ما؟».

وافق بحماس:

«طبعاً. اذكر ان بول كان يحب دائماً ذوات الشعر الأحمر».

«حقاً. اخبرني المزيد عنه ارجوك».

قال دينو وكأنه غير متحمس للحديث عن بول:

«انه رجل عملاق. . . فعلاً عملاق. وهو يحب اللون الاحمر كما يحب الفنان التشكيلي اشهر لوحة عنده».

ابتسمت بروك وهي تستمع الى كلام دينو. لكن البسمة ماتت على شفتيها عندما لمحت من فوق كتف رفيقها في الرقص زوجها وهو بين ذراعي

الشابة الجميلة. انه ينظر اليها بابتسامة ساحرة، ربما رداً على شيء ما همسته في اذنه. وفجأة احست بأن النيران تأكل اعصابها وشرايينها. فهي لا تريده ان ينظر الى امرأة اخرى غيرها. . . واستغربت من اين جاءها هذا الشعور بالغيرة العمياء. عاد دينو ليهمس في اذنها اغانيه العاطفية. اما بول فلم يكلف نفسه عناء الالتفات نحوها ولو لمرة واحدة. وفي لحظات تحولت فرحتها في الحفلة الى ضيق لم تستطع تفسير اسبابه. ودون وعي منها راحت تسأل دينو عن مختلف تفاصيل حياته، من غير ان تنتبه فعلاً الى اجوبته المطولة.

واخيراً جاء بول يطالب بزوجته مخاطباً دينو بجفاء:

«هل تسمح لي الآن يا دينو؟».

انسحب الشاب بهدوء وهو يقول:

«بالتأكيد يا صديقي العزيز. لقد سحرتني زوجتك الجميلة الرائعة».

اجاب بول بنعومة:

«شكراً على اهتمامك بها». ثم التفت الى زوجته بعد ابتعاد دينو وقال:

«حان وقت الذهاب الى الفندق يا صغيرتي».

ردت عليه بحدة:

«لا اريد ان امتدح نفسي. . . لكنك تغار عليّ».

اجابها بلطف مبطن بالف معنى:

«دعك من هذا. لماذا اغار عليك؟ من سيهتم بامرأة ذات شعر احمر. . . وقلب كالجليد؟».

قالت وهي تخفي غضبها:

«ماركو ينظر نحونا. . . فلا ضرورة للشجار امامه رجاء».

شبك يدها بيده، وسارا معاً باتجاه ماركو وهو يقول:

«لا. . . فقد ينقلب الجميع ضدك».

ابتسم ماركو وهو يحتضن اخاه وزوجته:

«عليك ان تحضر لوسيا في المرة المقبلة. بل يمكنك ان ترسلها لوحدها لقضاء عطلتها معنا. اشكرك على الفرصة التي اتحتها لي للتعرف الى نسيبتنا الجديدة، انها رائعة وتناسبك تماماً».

شكرته بروك مبتسمة، ثم غادرت المطعم يداً بيد مع بول الذي راح

يودع الاصدقاء ملوحاً لهم بيده الطليقة. وقد اقتصر دورها في هذه اللحظات على رد الابتسامات للمودعين وهي تسير في ظل زوجها الطاغي بحضوره وجاذبيته. كانا امام الناس العروسين السعيدين، لكنهما ليسا كذلك في الواقع. وطيلة الوقت كان الشعور بالكبت والضيق من جراء حياتها الزوجية غير الطبيعية ينمو بصورة غير معقولة تنذر باخطار عديدة.

في طريق العودة الى الفندق افتعلت بروك جدالاً لا معنى له. كانت تشعر بنوع من الضيق في صدرها. . . فهي تريد اشياء كثيرة من زوجها بدون ان تعرف طبيعة هذه الأشياء!

لقد تصرف معها بلطف وادب طيلة الوقت، وكان صبوراً الى ابعد الحدود، فماذا تريد اكثر من ذلك؟ جلس بول بعيداً عنها في سيارة التاكسي، تاركاً اياها في حديثها المنفرد. . . ولكنه قبض على يدها بشدة عندما غادرا التاكسي وسارا باتجاه المصعد في طريقهما الى الشقة الفاخرة في ذلك الفندق الفخم.

دخلت بروك الى غرفة نومها على الفور بدون ان تحاول اغلاق الباب في وجه زوجها. فاذا كانت العيون هي نوافذ القلب فعلاً، فان بول يتأرجح الآن على حدود الانفجار الشامل. فهو صاحب كبرياء وكرامة، ويرفض ان تعامله اي امرأة بمثل هذا الاسلوب.

القت معطف الفرو عن كتفيها، ثم مدت يدها الى السحاب لتنزله. . . لكنه علق بعناد ولم تفلح كل محاولاتها، فصرخت بنفاد صبر. قال لها بول الذي كان يقف عند الباب:

«لماذا لا تدعيني افك السحاب؟».

اجابته وهي تواصل محاولاتها الفاشلة:

«شكراً لك. . . لا ضرورة لازعاج نفسك».

علق قائلاً:

«سوف تمزقين الفستان».

توترت اعصاب بروك وهي تراه مقبلاً نحوها. وقبل ان يمد يده قالت بخوف:

«ارجوك يا بول».

«دعك من هذه السخافات».

وبقوة غير متوقعة، ادارها بعيداً عنه وانزل لها السحاب حتى نهايته. قالت له بسرعة:

«شكراً لك. . . هذا لطف منك؟».

«الن تنزعي الفستان الآن؟».

«ليس قبل ان تذهب».

وجه اليها نظرة حادة وقال:

«انت خجولة جداً حسب ما لاحظت؟ لماذا تحاولين دائماً اخفاء نفسك عني؟ فأنا اعرف كيف هن النساء».

تملكتها موجة غضب عارمة وقالت:

«هذه هي مشكلتك الأساسية».

حذرها بول بصوت حاسم:

«لا ضرورة لمثل هذه الكلمات».

واجهته بتحد وهي ترفع شعرها عن وجهها:

«وما المانع؟».

«لان الكلام غير صحيح، وانا لا اطيق سماعه. هل ستعمدين الى التشهير بي طيلة العمر لانني اب لطفلة غير شرعية؟ لم احب لوسيا، لكنها احبتني بعمق». حدق فيها والغضب يشرقط من عينيه، ثم اضاف: «اذهبي الى النوم ايتها الصغيرة الغبية فأنا لا اريد ان المسك ابداً».

اجتاحتها رغبة في ايذائه كما اذاها في كلماته الأخيرة:

«انا سعيدة لهذا الموقف. . . فلست استطيع تحمل لمساتك ابداً».

قال:

«اعرف ذلك، فأنا لم اتزوج من اجل الحب».

صدمتها كلماته بشدة، بحيث لم تجد نفسها الا وهي تسقط على الأرض غائبة عن الوعي. وعندما استفاقت بعد قليل وجدت نفسها بين ذراعي بول، الذي سألها بصوت قلق:

«ماذا حدث؟».

نظرت اليه بعينين ضعيفتين:

«لست ادري! لا اشعر باي شيء على الاطلاق».

رفعها الى السرير وهو يقول:

«لقد اثرت الرعب في قلبي. اعترف اني اردت جرحك. . . ولذلك فأنا اعتذر».

ردت بضعف:

«انا اعتذر ايضاً. لقد امضينا اسبوعاً رائعاً، ولست ادري لماذا اثرت كل هذه المشاكل الليلة».

قال بهدوء:

«انتهى الأمر، لعلنا اجهدنا انفسنا في هذه المدينة، فأنا الاحظ انك متعبة جداً».

قالت بدون ان تترك يده:

«لقد احببت رحلتنا هذه. ارجوك لا تغضب يا بول، فأنا لا اثير مشكلة لوسيا امامك دائماً. كيف يمكن ان افعل ذلك وانا احب ابنتك كثيراً؟ انها فتاة طيبة القلب، واريد ان اساعدها واحميها واؤمن لها حياة سعيدة مريحة».

سألها بلطف:

«اين قميص النوم؟».

«انه معلق في الخزانة».

«سأحضره لك».

جلست في مكانها وهي تقول:

«اصبحت في وضع افضل، وعلي ان اغسل اسناني ووجهي قبل النوم».

عاد اليها بقميص النوم الفاخر الذي اشترته لها امها خصيصاً لشهر العسل وقال:

«سأتركك الآن. . . تصبحين على خير».

همست وقد شعرت انه يبتعد كثيراً:

«تصبح على خير يا بول. . . هل انت غاضب مني؟».

نظر اليها ملياً ثم قال:

«لا، لست غاضباً منك».

قالت بنفسها بأسى: «يا لي من فتاة غبية تافهة، لقد اثرت غضبك لاسباب غير معلومة»، كانت تصرفاتها الليلة طفولية ساذجة، اثارتها تلك

المرأة التي راقصت زوجها في السهرة. وسواء اعترفت بذلك ام لم تعترف، فان شعورها بعدم الاطمئنان هو السبب في كل متاعبها؟ فشهر العسل هو وقت للمحبة والحنان. وقد حقق لها بول كل رغباتها، وكان فعلاً محباً ورقيقاً للغاية.

قال وهو يغلق الباب خلفه:

«واذا احتجت الي، فناديني بسرعة».

ذهب وتركها وحيدة في اضطرابها وخوفها. . . انها متعبة، متعبة، متعبة!

وكما يحدث عادة بعد ليلة من المفاجآت والمشاكل، غطت بروك في نوم متقطع قلق تخلله الاحلام والكوابيس المزعجة. لم تكن لتعترف حتى داخلياً بانها مرتاحة الى وجود زوجها. وفي الوقت نفسه لم تنس اعلانه صراحة انه تزوجها بدون ان يحبها. في البداية كانت الاحلام متناثرة تضم اشخاصاً وامكنة واحداثاً لا علاقة تربط فيما بينها على الاطلاق. ثم اتضح الحلم، وعاد بها الى اللحظات التي سبقت حادث الغرق الذي تعرضت له في المرفأ. اخذت تحس وكأنها تعيش المغامرة مرة اخرى، وبشكل حقيقي جداً. فضاق نفسها بشدة وراحت تنتفض في فراشها محاولة الخلاص من عذاب الحلم. كل ابواب السيارة مغلقة باستثناء الباب المجاور لها، ومع ذلك لم تستطع الخروج منه. انطلقت صرخة رعب هائلة منها وهي تقاتل من اجل نسمة هواء منعشة في ذلك الكابوس الثقيل. فجأة اضاء نور ساطع الغرفة المجاورة لغرفتها، ثم دخل بول مسرعاً وقال لها بعد ان ايقظتها صرخة الرعب ايضاً:

«ماذا بك بحق السماء؟».

ردت بصوت واهن:

«انه كابوس مرعب».

اضاء بول نور الغرفة، ثم اضاء ايضاً مصباحي الطاولة المجاورة للسرير واقترب منها بلطف وهدوء. قالت له:

«آسفة لازعاجك في هذا الوقت».

اجاب:

«لم اكن قد نمت بعد».

رفعت يديها نحو رأسها وهي تسأل:

«كم الساعة الآن؟».

«الوقت المعتاد الذي تستيقظين فيه... لقد تجاوزت الثالثة صباحاً».

كانت عيناها تمكسان الخوف العميق الذي ما زالت تشعر به من جراء الكابوس. اقترب بول وجلس على حافة السرير قائلاً:

«بماذا كنت تحلمين؟».

رفعت يدها تبعد الشعر عن جبينها، فامسك بها بلطف وكأنه يحاول اعطاءها دفعة من القوة والارتياح. قالت وشفتاها ترتجفان بشدة:

«كنت احلم بحادث الغرق».

ولما شاهدها وقد اشرفت على البكاء، صاح قائلاً:

«لا تبكي».

فاجأها صوته الحاد، وقالت:

«لا اظنك تعتقد انني احاول جرك الى فراشي».

«سواء حاولت ام لم تحاولي، فانك تلعبين بالنار».

قالت وهي تحس النار تحرق وجهها:

«لا يمكن ان اكون بلا حياء الى هذا الحد».

اجابها بحدة:

«حتى مع زوجك؟ هل تريدينني ان اذهب ام ابقى؟ والارجح اننا سنذهب الى النوم فوراً».

جمدت عيناها في عينيه وكأنها منومة مغناطيسيا وقالت:

«هذا افضل».

غابت البسمة الساخرة عن شفتيه ورد بغضب:

«ترفضينني ايتها المخادعة. وانت تتشوقين الي!».

صاحت بالم قاس:

«اذن ها انا بين يديك».

وعلى حين غرة رفعها بين يديه قائلاً:

«لا داعي للصراخ. ليس الآن يا صغيرتي، بل في يوم آخر، انا استطيع ان اخرج من داخلك المرأة الناضجة المحبة، لكنني لن افعل ذلك وانت في هذه الحالة المزرية».

توقف للحظات وهو يتأملها وتابع: «انت جميلة جداً ومرغوبة جداً... فقط يجب ان تتعلمي معنى الحب اولاً».

قالت وهي تريح رأسها على صدره العريض، وفي الوقت نفسه تحس ذراعيه القويتين تسندان جسمها:

«حاول ان تتذكر انك لا تحبني كما قلت».

سألها بجفاء:

«انا لا احبك؟ يا لك من فتاة جاهلة».

ثم وضعها على السرير وسحب ذراعه من تحت رأسها قائلاً:

«يوماً ما ستهمسين في اذني الكلمة التي اتوق الى سماعها. من اجل تلك اللحظة انا اضبط اعصابي بهذا الشكل... وايضاً لاقنعك بانني مختلف تماماً عن الصورة التي رسمتها لي في مخيلتك».

ردت والنعاس يغالب جفنيها:

«ارجوك، دعني لوحدي».

«لو فعلت ذلك الآن لما استطعت النوم ابداً».

انحنى بول نحو زوجته وقبلها في جبينها، ثم وقف للحظات يتأمل وجهها المتعب. واخيراً احكم وضع الغطاء عليها وهو يقول:

«ايتها المرأة، لا اريدك ان تكوني الزوجة، الضحية».

٧- دائماً كنت لي

خلال الاسابيع القليلة التي تلت شهر العسل، لاحظت بروك تغيراً واضحاً في تصرفاتها، وشعرت كأن انسانة اخرى تختلف عنها تماما تولد من جديد. ومع انها لم تكن تتمتع بأوقات مرحة ومسلية، الا انها كانت في احسن حالاتها. فقد حل فصل الصيف باشعته الحارقة، وسرعان ما تلونت بشرتها باللون البرونزي الجميل الذي تناسب مع عشرات قطع الملابس والمجوهرات التي اغرقها بول بها. كما وان رحيل ليليان ولويز في جولة حول العالم لم يشعرها بالفراغ، اذ كانت هناك لوسيا تؤنس وحدتها وترافقها في معظم روحاتها وغدواتها. وبكلمة واحدة، كانت بروك فخورة جداً كونها زوجة بول كوريللي وسيدة وينتر سويت في آن واحد.

شهد البيت الكثير من الحفلات واللقاءات الاجتماعية. ولكنها لم تكن مجبرة على القيام باعمال البيت لوحدها، فهناك الى جانب لوسيا كل من جياني والجنيتاي اللذين كانا يحضران ثلاثة ايام في الاسبوع. ومع الوقت راحت بروك تكتشف ان اعمال زوجها الواسعة تبتلع معظم وقته، فهي لا تعرف متى يغادر عند الصباح او متى يعود عند المساء. وادركت ان السعادة الاكبر التي يحصل عليها بول هي وجوده بالقرب من زوجته الجميلة الشابة وابنته التي بدأت تخرج من قوقعتها وعزلتها. ومع انه كان محط انظار النساء في كل الحفلات، الا انها باتت اقل غيرة من قبل. . . فهذا الرجل هو زوجها الذي يسعى جاهداً من اجل سعادتها، ولن يسمح لاي شيء بتعكير صفو بيته.

شاهدت بروك وهي في غرفة نومها سيارة كارلا تعبر البوابة الامامية للبيت، فاحست بانقباض خفيف في صدرها. والواقع انها لم تستطع الارتياح لوجود كارلا، رغم ان تصرفات هذه الاخيرة منذ انتهاء شهر العسل كانت طبيعية وصحيحة ومحترمة. فقد قررت ان لا تعود الى كينيا بعد الزواج، بل تريد البقاء في استراليا التي وجدتها مريحة ومسلية على الاقل لمدة سنة. الفكرة الاولى التي خطرت على بال بروك عند سماعها بهذا القرار ان هذه الفتاة الايطالية ما زالت تسعى وراء بول. ولكنها لم تستطع شيئاً حيال ذلك. فبما انها قريبة العائلة، فقد كانت بروك مضطرة الى دعوتها لكل الحفلات واللقاءات التي كانت تقام في وينترسويت او خارجه.

لم تكن كارلا مدعوة هذا الصباح، ومع ذلك ها هي داخل البيت. وعلى عجل سرحت بروك شعرها، واسرعت لتقابل الزائرة في المدخل الرئيسي. وعندما التقتا قالت كارلا بنوع من التحدي:

«صباح الخير يا عزيزتي».

«كيف حالك يا كارلا. كم انا سعيدة برؤيتك».

اجابت كارلا بحدة:

«دعك من هذا الكلام ايتها الصغيرة، انت تعرفين وأنا اعرف اننا لا نحب بعضنا بعضاً».

سألتها بروك على الفور:

«واذن لماذا انت هنا؟».

رفعت كارلا حاجبيها بلامبالاة، وقالت:

«جئت اعيد ولاعة بول التي نسيها في الشقة مؤخراً ولم يعد لاخذها. . . انها ولاعة ثمينة كما تعرفين».

في هذه اللحظة اطلت لوسيا على السلم، لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما شاهدت كارلا، ثم قالت وهي تنظر الى بروك:

«كيف حالك يا كارلا؟».

ردت كارلا ساخرة:

«كيف حالك ايتها القطة الصغيرة؟ اقتربي مني، فأنا لن آكلك».

قاطعتها بروك بجفاء:

«هل ترغبين في مشاركتنا بفنجان من القهوة، فأنا ولوسيا كنا نستعد لذلك؟».

قالت كارلا:
«لا مانع ابداً». ثم اضافت وهي تنقل بصرها في اللوحات والتحف التي تملأ القاعة:
«انني الاحظ تغييراً ملحوظاً في البيت مقارنة مع آخر مرة شاهدته فيها؟».
ردت بروك بارتياح:
«هذا صحيح، فبول ينفق الكثير على البيت».
اخفت بروك مشاعرها المتأججة في صدرها كي لا تعطي غريمتها مجالا للشماتة بها. فكارلا امرأة صعبة المراس وخطيرة، وهي لا تخفي ابداً مشاعرها تجاه بول. ومع ان بروك مطمئنة الى ان زوجها لا يشعر بشيء تجاه قريبته، الّا ان كل الاحتمالات واردة طالما ان العلاقة الزوجية الشرعية بينهما لم تأخذ مجراها الطبيعي بعد.
قالت لوسيا في محاولة لكسر حدة الموقف:
«هل اخبر هاربيت بطلباتنا؟».
ابتسمت بروك بلطف قائلة:
«اجل يا عزيزتي، سوف نتناول القهوة على الشرفة، فهناك الطقس ابرد».
هزت لوسيا رأسها موافقة وتوجهت الى المطبخ مسرعة. في حين التفتت بروك الى كارلا قائلة:
«تفضلي الى الشرفة. وارجو ان تعطيني الولاعة الآن».
فتحت كارلا حقيبة يدها وهي تقول:
«طبعاً... ها هي، فأنا لا اريد الاحتفاظ بها، فهذه مسؤولية كبيرة نظراً لقيمتها الباهظة».
قالت بروك بهدوء بعدما لاحظت ان الولاعة هي تلك التي قدمتها لزوجها في احدى المناسبات:
«انها قيمة جداً، ذهب من عيار ١٨ قيراطاً».
وبينما هي تضع الولاعة في جيب سترتها، اذ بكارلا تقول بسخرية:
«لا تغضبي يا عزيزتي. انت فتاة حلوة ومتزوجة شرعاً من بول، لكنك لن تستطيعي تلبية احتياجاته، او لنقل انك لا تحاولين؟».

حدّقت بروك مطولا بالمرأة التي تقف امامها، ثم قالت وقد شحب وجهها:
«هل تريدين القول ان بول يزورك باستمرار؟».
«هذا صحيح تماماً».
ردت بروك وهي لا تصدق اذنيها:
«انني لا اصدق، فذوقه اعلى من ذلك بكثير».
هاجمتها كارلا بلهجة ساخرة:
«الاصح انك لا تريدين التصديق. ان زواجكما ليس طبيعياً، اليس كذلك؟».
جمد الدم في عروق بروك وهي تقول:
«ان ما تقولينه يا كارلا خطير جداً. لست ادري لماذا تتكلمين هكذا، ولن اكون مرائية بعد اليوم؟ بل اقول لك انك شخص غير مرغوب فيه في هذا البيت».
ابتسمت كارلا بلا مبالاة وقالت:
«يا لك من فتاة ساذجة. فعلى الرغم من ذكائك ومركزك المرموق في المجتمع، فانك متعطشة الى حب زوجك. صحيح انه يعطيك الثروة الطائلة لتلعبي دور سيدة البيت الكبير... لكن الواقع مؤلم ومبك فعلا».
تعمدت بروك الكلام بهدوء، وان كانت تتمنى لو ترمي غريمتها خارج البيت بلمح البصر:
«ولماذا ابكي واتألم؟ زوجي يعاملني بلطف وحنان وتفهم، لوسيا الصغيرة سعيدة جداً بعيداً عنك، وانا غير ضعيفة امامك! لا اريد ان اطردك الى الخارج، لكنني اتمنى ان ترحلي على الفور... فنحن لا نناسب بعضنا ابداً».
الحت كارلا في الكلام متجاهلة طلب بروك:
«ايتها العروس الحزينة... انني سعيدة لهذا الحديث الممتع». تمهلت لحظات قبل ان تتابع: «لا ضرورة لطردي، سأذهب من تلقاء نفسي».
ثم اطلقت ضحكة مجلجلة قبل ان تنهض وتسير باتجاه السلالم، ثم الى خارج البيت.
ظلت بروك واقفة هناك تراقب رحيل كارلا الى ان جاءها صوت لوسيا

من الخلف:

«هل ذهبت؟».

«طلبت منها شخصياً ان تذهب».

قربت لوسيا مقعداً خشبياً من بروك وقالت:

«انا سعيدة. والآن نستطيع تناول القهوة بمفردنا. كانت كارلا دائماً صانعة مشاكل، حتى ان آنا لم تكن تحبها ابداً. صحيح ان ابي دفع تكاليف رحلتها، لكن كان من المفروض ان تعود منذ مدة».

«حسناً، دعينا نتناول القهوة».

كان عليها ان تخفي عن تلك الصغيرة البريئة ما يعتمل في داخلها من حقد وغضب، لذلك قالت:

«ما رأيك بدعوة كيت وميليسيا بعد الظهر؟ لقد نظف جياني حوض السباحة ويمكننا ان نطلب من هاريت اعداد غداء سريع لكنّ؟».

ظهرت بشائر الفرحة على وجه لوسيا التي هتفت:

«هل استطيع فعلاً».

ردت بروك بعطف وحنان:

«ليس من الضروري ان تطلبي. هذا بيتك بقدر ما هو بيتي، وانا اريد رؤيتك سعيدة بين صديقاتك».

في هذه الاثناء وصلت هاريت حاملة صينية القهوة، وقالت عندما وجدت ان الضيفة قد رحلت:

«تريدان القهوة في الغرفة الشمالية؟».

هزت بروك رأسها بهدوء:

«اجل، شكراً لك يا هاريت. ما رأيك بتناول القهوة معنا؟».

تناولت هاريت مقعداً وقالت بسرور:

«لن ارد طلبكما. والآن ماذا اسمع عن مجيء بعض الضيوف بعد الظهر؟».

ردت لوسيا وهي تدور حولها:

«صديقتان فقط يا هاريت».

اجابتها هاريت مبتسمة:

«انني اسأل فقط كي اعد الطعام اللازم. . . فلا مشاكل في هذا

البيت».

لقد كان هناك شيء ما يشغل بال سيدة البيت، لكن هاريت لم تجد من المناسب طرح الاسئلة في هذا المجال.

حل بعد الظهر وجاءت الصديقتان كيت وميليسيا لزيارة لوسيا. وبينما الفتيات الثلاث ملتهيات في حوض السباحة، دخل جياني ليعلن لبروك ان السيدة سيمونز جاءت في زيارة للأسرة. نهضت بروك مضطرة لترحب بالزائرة غير المتوقعة وتقضي معها بعض الوقت في احاديث متنوعة. وبعد حوالى الساعة تقريباً تلقت اتصالاً هاتفياً من صديقتها ماجي التي يبدو انها احست بما يشغل العروس الجديدة. اذ لم يمض وقت طويل الى الاتصال، حتى كانت تصعد سلم وينترسويت للقاء بروك.

قالت بروك مرحبة:

«انني سعيدة جداً لهذه الزيارة يا ماجي».

قبلت ماجي وجنتي صديقتها وقالت بصوت متلهف:

«صوتك على الهاتف لم يعجبني. والآن هيا اخبريني بمشاكلك. فليليان ولويز ليستا هنا، وانا صديقة حميمة وحافظة اسرار ايضاً».

قالت بروك وهي تفكر:

«انك اكثر من طيبة معي يا ماجي. على فكرة، لوسيا تود ان تشكرك على الهدية الجميلة التي تلقتها منك».

قاطعتها ماجي بلطف:

«لا داعي لذلك ابداً، فقد شكرتني هاتفياً قبل ايام. انها فتاة طيبة وجميلة، وانت تحسنين معاملتها كثيراً».

ردت بروك:

«الامر سهل، فهي بحاجة الى من تنتمي اليه وتبني معه علاقة متينة. لقد استطاعت اقامة علاقات صداقة مع عدد من تلميذاتي. انهن في حوض السباحة الآن، وهاريت تعد لهن طعاماً خاصاً. . . لكنني لا استطيع التمتع بالاكل معهن؟».

قربت ماجي كرسيها من مقعد بروك وهي تقول:

«وما السبب في ذلك؟».

سرحت بروك بنظرها بعيداً ثم قالت:

«زارتني كارلا هذا الصباح. ومع ان لقاءنا كان قصيراً الا انها ازعجتني للغاية... فطلبت منها مغادرة البيت فوراً».

بدا الاهتمام على وجه ماجي التي علقت قائلة:

«انني لا ارتاح لتلك المرأة. فهي جذابة جداً، وهناك شيء ما في شخصيتها».

اجابت بروك بجفاء:

«بل دعينا نقول اشياء كثيرة غير واضحة».

حثتها ماجي على الحديث بقولها:

«اذن حدثيني. هل الامر متعلق ببول؟».

نظرت بروك الى صديقتها بحزن:

«اجل. هل اقدم لك شيئاً قبل مواصلة الحديث؟».

هزت ماجي رأسها:

«لا، فقط اخبريني بما يثقل قلبك وعقلك».

«هل الامر واضح الى هذا الحد؟».

«انني اعرفك تمام المعرفة. لقد حاولت كارلا الاساءة اليك، اليس كذلك؟».

ضمت بروك يديها الى بعضهما وراحت تحدق بهما وهي تقول:

«لعلها كانت تقول الحقيقة العارية. لا استطيع ان اخبر احداً غيرك يا ماجي، لكنني غير قادرة على تحمل المزيد... ان زواجي ليس على ما يرام، واظن ان كارلا تعرف».

صرخت ماجي وهي غير مصدقة:

«ايتها الطفلة العزيزة، انا اعرف ان زوجك يحبك حباً جماً».

«لا يا ماجي».

«واذا لم يكن يحبك فعلا فهو يستحق اكبر جائزة في التمثيل».

تنهدت بروك قائلة:

«كل الايطاليين بارعون في التمثيل».

عادت ماجي تتساءل:

«وهل تقصدين ان كارلا تدعي ان بول مهتم بها؟».

اجابت بروك بصوت متهدج:

«اجل. انت تعرفين يا ماجي ان زواجي هو زواج مصلحة وليس زواج عاطفة. ومنذ البداية كان يريد مني بعض الاشياء...».

قاطعتها ماجي:

«يريدك انت».

«انه يريد بيتاً وعائلة».

«وماذا في ذلك؟».

انفجرت بروك وقد اعياها الصبر:

«اننا لا نمارس حقوقنا الزوجية».

نهضت ماجي من مقعدها وقد فاجأها كلام بروك:

«لكن من هو صاحب هذه الفكرة يا عزيزتي؟ من المؤكد انه ليس بول؟ اذ لا يمكن تكوين عائلة وكل من العروسين ينام في غرفة منفصلة».

قالت بروك بلهفة:

«اريده ان يحبني اولا يا ماجي... فهو لم يذكر كلمة الحب امامي ابداً».

«وهل استعملتها انت؟».

انتفضت بروك باستنكار:

«طبعاً لا، وساكون غبية اذا فعلت. الا تلاحظين ان النساء يحمن حوله دائماً... فلماذا ارمي نفسي عليه ايضاً؟».

اجابتها ماجي بجفاء:

«نصيحتي لك ان تفعلي اذا ما اردت الاحتفاظ بزوجك».

همست بروك بضيق:

«تتكلمين وكأن الامر في منتهى البساطة».

ردت ماجي بلطف:

«هو بسيط جداً اذا كنت تحبينه فعلا. فهل تشعرين بالحب نحوه يا عزيزتي؟».

هزت بروك كتفيها بحيرة:

«لست ادري. انني اشتاق اليه عندما يكون غائباً، واحب نظراته وصوته واغانيه التي يرددها من اجلي. انه رجل مدهش، يدور في كل الانحاء، ويعمل في كل الاوقات دون ان يشعر بالتعب. انه يحب لوسيا

وهي متعلقة به... لكنه يعاملني وكأنني اخته الصغرى».

صرخت ماجي غير مصدقة:

«يا الهي، يبدو ان الوضع كله سيء للغاية. قولي ما تريدين يا عزيزتي، لقد شاهدت بول وهو ينظر اليك... ولو ان رجلا نظر اليّ مثل نظرته اليك، لامضيت بقية عمري في سعادة طاغية».

«وماذا لو ان ما تقوله كارلا صحيح؟».

«حتى الآن لم تقولي لي ما حدثتك به».

ارتجفت شفتا بروك قبل ان تجيب:

«لا اعتقد انه يستحق الاعادة مجدداً، لكنه كان كافياً لهز اعصابي. ولا استطيع ان ازيله من فكري ابداً».

بدا على وجه ماجي الاهتمام الكبير، ثم ربتت على يد بروك قائلة:

«يظهر من كلامك انك تحبين زوجك حباً جماً. واذا كان ذلك صحيحاً، فيجب عليك ان تحاولي انجاح زواجك. خاصة وانتما جميعاً تعتبره زواجاً ناجحاً. كل منكما يشكل جبهة لها مميزاتها الخاصة... ولا اعتقد ان بول لم يحاول التقرب منك».

حدقت بروك بوجه صديقتها مستغربة:

«وهل انا مجنونة لكي اهتم بما اذا كان يحبني ام لا؟».

واجهتها ماجي بتحد:

«انه يحبك. اسمعي جيداً يا عزيزتي. لا تستطيع اي امرأة ان تبقي زوجها خارج غرفة نومها، هذا اذا كانت فعلا تريد لزواجها ان يستمر. النصيحة الوحيدة التي اقدمها لك هي ان تتجاهلي كارلا وتحاولي غزو قلب زوجك. هناك نار تشتعل في داخلك فلماذا لا تدعيه يراها؟».

ردت بروك بهدوء:

«لربما حصلت على اكثر ما اريد... قبول رجل غير عادي على الاطلاق».

قالت ماجي وهي تريد الترويح عن صديقتها:

«أليست هذه هي الحقيقة؟ صحيح ان كارلا جرحت كرامتك، ولكنني اتجاهلها تماماً لو كنت مكانك».

«كانت تملك ولاعة بول، وهي الولاعة التي قدمتها له بعد عودتنا من

اسبوع العسل».

ردت ماجي بغضب:

«اغلب الظن انها تغير منك. ولربما حصلت على الولاعة بطريقة غير مباشرة، ولعلها اخذتها عندما كانت في الحفلة الاسبوع الماضي».

قالت بروك بلهجة جادة حزينة:

«وهذا يعني ان بول لا يهتم بهديتي اليه. لا استطيع ان اغير طبيعتي يا ماجي. اعرف ان الزواج مسألة مهمة، وان متطلباته كثيرة، ولكنني ارفض بصراحة ان اشارك زوجي حياته بدون قناعة».

علقت ماجي قائلة:

«وهذه طبيعة بول ايضاً. ان كرامته تمنعه من ان يقع في احابيل امرأة مثل كارلا. لا يمكن ان تواصلي استجوابه ليلا ونهاراً لمجرد كونه جذاباً. ومن المؤسف انك لا تملكين ثقة اكبر بنفسك. انك رائعة الجمال هذه الايام، ولن يتطلب الامر منك كثيراً كي تحصلي على قلب زوجك. انا متأكدة انك لم تحاولي حتى».

«كلا لم احاول لانني اعتقد... الامر غير مهم في اية حال».

راقبتها ماجي بتمعن ثم قالت بهدوء:

«خذي بنصيحتي ايتها العزيزة... وارتدي الليلة اجمل قميص نوم عندك».

عندما حان وقت النوم، كانت بروك قد وصلت الى حالة من الارهاق يرثى لها.

فقد ظلت صامتة طوال العشاء، في حين راحت لوسيا تراقبها بقلق بدون ان تجرؤ على سؤالها عما بها. كان بول قد اتصل هاتفياً ليبلغ زوجته انه سيتأخر في العودة الى البيت، لأن المهندسين سيعقدون اجتماعاً طارئاً لبحث بعض المشاكل المتعلقة بمشروع البناء الذي ينجزه في احدى ضواحي المدينة. تلقت بروك المكالمة بقلق غريب، لكنها لم تحاول ان تستوضح منه اكثر. فهذه هي النتيجة الطبيعية لزواج من هذا النوع... ومع ذلك فقد اضطربت اعصابها لمجرد التفكير بما سبق وقالته كارلا لها.

بعد ان آوت لوسيا الى فراشها، قرع جرس الهاتف فرد عليه جياني.

وعندما استفسرت بروك عن الهاتف قال الخادم الامين ان احداً لم يرد بل

وضعت السماعة من الطرف الآخر على الفور. بعد عشر دقائق قرع الهاتف مرة اخرى فتناولته بروك هذه المرة. احست ان هناك انساناً ما على الطرف الآخر غير راغب بالحديث. وعندما همت بوضع السماعة تناهت الى اذنيها قهقهة ناعمة ساخرة. . . ثم اغلق الخط.

سألها جياني الواقف الى جانبها:

«هل هناك ما يسيء يا سيدتي؟».

«مخابرة سخيفة يا جياني».

اكفهر وجه الخادم وهو يقول:

«هكذا اذن. دعيني اهتم بالموضوع شخصياً يا سيدتي».

هزت بروك رأسها مبتسمة:

«شكراً لك يا جياني».

«انا بالخدمة يا سيدتي، هل تريدين شيئاً آخر؟».

«لا، اعتقد انني سأذهب الى فراشي مثل لوسيا. تصبح على خير يا جياني، فانت تجعل الحياة سهلة في هذا البيت».

انحنى جياني باحترام شديد ثم قال:

«انا سعيد برأيك هذا. هل سيعود سيدي قريباً؟».

قالت باقتضاب:

«لا اظن ذلك».

لم تنفع مواقف جياني الطيب في ازالة التوتر والضيق عن نفسها. فاذا لم تخدعها اذناها، فان تلك الضحكة هي لكارلا. لقد سمعتها تطلق مثل هذه الضحكة في احيان كثيرة. هل اتصلت لمجرد السخرية منها؟ كي تؤكد لها ان الوضع غير سليم؟

واخيراً قررت ان تستحم، لعل الماء الدافىء ينعشها ويبعد عنها الافكار المتضاربة التي تضج في رأسها. وضعت كمية من صابون الحمام الوردي اللون، ثم انزلقت في الحوض عندما وصلت الرغوة والفقاقيع الى اطرافه الداخلية. وهناك حاولت ان تريح جسدها واعصابها، لكن افكارها ظلت تدور حول كارلا وبول.

وفجأة سمعت صوت بول ينادي من الخارج:

«حبيبتي؟» فانتصبت في مكانها، ثم عادت لتخفي جسدها في الماء.

«اين انت يا بروك؟».

كان صوته ملحاً وآمراً. ولا شك انه دخل عبر الباب الجانبي، لانها باتت تسمع وقع قدميه في غرفة نومها.

ردت قائلة:

«انني في الحمام».

انزلقت اكثر في الماء كي تخفي جسدها عن عينيه وهي تشعر بالخجل الشديد لانه سيدخل عليها خلوتها.

وعندما دخل قال بنعومة ومحبة وهو يسند ظهره على طرف الباب:

«من قال ان اللون الزهري لا يناسب ذوات الشعر الاحمر؟».

تضرجت وجنتا بروك بالدم وقالت:

«سأكون معك بعد قليل؟».

«طبعاً يا عزيزتي، فأنا انتظرك على أحر من الجمر. كان يوماً متعباً، لكن وجودك هنا يجعل العودة الى البيت هي السعادة بعينها».

صرخت بضيق وقد شعرت بعينيه وكلماته تثير مشاعرها واحاسيسها:

«ارجوك دعني لوحدي».

قال وعيناه تلمعان ببريق غريب:

«اعرف انك خجولة جداً، لكنني زوجك ولا اظن ان هناك ما يمنع وجودي هنا».

بدأت اعصابها تتوتر وهي تقول:

«هناك ما يمنع طبعاً».

ظل للحظات يحدق فيها، ثم قال ضاحكاً:

«عليك بالاسراع، فانت تعرفين انني اكره البقاء وحيداً».

وما ان غادر الحمام، حتى هبت بروك من الحوض تنشف جسدها بمنشفة وردية اللون كانت بمتناول يدها. وكم كانت دهشتها كبيرة عندما لاحظت انها لم تحضر معها قميص النوم او حتى روب الاستحمام.

«ماذا يؤخرك يا عزيزتي؟».

ومع الصوت دخل بول الحمام مجدداً. كان قد خلع ربطة عنقه والسترة، وفك بعض ازرار القميص بحيث بان الشعر الكثيف في صدره.

قالت له فوراً:

«لقد عدت ابكر مما كنت اتوقع؟».

اقترب منها ينشف لها شعرها وهو يقول:

«هل من الضروري ان تكلميني بهذا الاسلوب؟ كان يوماً متعباً مرهقاً، وقد اشتقت اليك كثيراً».

همست بتعب:

«ارجوك ابتعد عني».

قال لها:

«اهدأي الآن».

ثم حملها بسهولة بين ذراعيه وادخلها غرفة النوم ليضعها على السرير الواسع. وكانت طيلة الوقت تنظر اليه بعينين خائفتين وكأنها حيوان اليف يواجه وحشاً مرعباً.

قال بدون ان يحاول الاقتراب منها:

«ما هذا التعبير على وجهك؟ مما انت خائفة حقاً؟».

ردت بسرعة محاولة اخفاء اضطرابها:

«لعلي اشعر بالبرودة قليلا».

تحول هدوء صوته الى لهجة غاضبة ساخرة:

«تبدين جذابة ومغرية».

وفجأة حانت منها التفاتة عابرة الى الغرفة، فوجدت انه احضر معه باقات عديدة من مختلف انواع الزهور فقالت:

«شكراً لك، انها لطيفة وجميلة».

اقترب منها قائلا:

«ها قد لاحظت وجودها. هل تشعرين بالخجل؟».

قالت بارتباك:

«انا لست مناسبة لك يا بول. انت تعرف حقيقة مشاعري، ولا استطيع ان اتقمص ما لست احسه».

رد عليها وهو يجلس الى جانبها في السرير:

«انا اعرف ما تحدثينني به فقط. هل هناك شيء غريب، شيء تريدين ان تخبريني عنه؟».

قالت بصعوبة بعد ان لاحظت عينيه تتأملان وجهها وكتفيها العاريتين

بشغف:

«ابداً... ابداً، لا شيء على الاطلاق».

اجابها بلطف:

«اخبرني جياني انك كنت مضطربة ومتوترة. اما الآن فانت تشعين كوردة رغم انني لم المسك بعد. هذه الورود لك لانك تفضلينها وتحبينها».

اشاحت بوجهها عنه وهي تريد الهرب منه:

«انا آسفة يا بول... انني لا اناسبك ابداً».

وافق بمرارة:

«حتى الآن نعم، ومهما كان الامر فانت لي ولست في وارد التخلي عنك ابداً».

«لكن الصفقة عقدناها... انا غير قادرة على اعطائك اي شيء... ابداً».

قال ساخراً:

«ارجوك، دعينا نتخلى عن الدراما للحظات. ما لا تستطيعين اعطائي اياه سآخذه بنفسي. انا اعرف انك لا تحبينني، لكنك ستحبين ابنتنا».

لم تجب بروك على الفوز، لكنها تحركت عندما اقترب منها، وقالت:

«لا اعتقد انك نسيت وعدك».

قال بصوت قاس ساخر:

«عانيت الأمرين من هذا الوعد. لقد اثرت غضبي كثيراً... كل هذه النار وهذا الجليد. انت رائعة، وكل ما اريده هو ان احبك، ومع ذلك تواجهينني بهذا الموقف الغريب. انت لا تستطيعين اعطائي شيئاً... يا لك من طفلة غبية بينما انا اريد امرأة ناضجة».

احست بالغيرة تنهش قلبها، فقالت بمرارة:

«انك تمزح ولا شك؟ اقصد كم امرأة تحتاج في اليوم الواحد؟».

انتفض بحدة:

«انت مجنونة بلا شك؟».

نظرت اليه بحدة قائلة:

«لست مجنونة على الاطلاق. انت تعتقد نفسك ذكياً ومراوغاً، لكنني اكتشفتك اخيراً يا بول كوريللي».

ظل للحظات يحدق في عينيها بحدة، وقد تقلصت عضلات وجهه غضباً ثم قال:

«انت مجنونة فعلاً».

وبحركة غاضبة ابعدها عنه فوقعت على السرير كأنها كومة من القش ثم قال:

«لا املك صبراً كبيراً دائماً، والافضل ان توضحي اقوالك فوراً».

ابتعد عن السرير قليلا وتابع قائلا:

«والآن ما هي هذه الثرثرات والشائعات التي اثارت غضبك الى هذا الحد؟».

قالت بغضب:

«اريد ان ارتدي قميص نومي اولا».

رد بسخرية:

«ولماذا؟».

«توقف عن هذه اللهجة يا بول».

«وهذا بيتي اليس كذلك؟ واذا اردت ان انظر الى زوجتي فسأفعل. لا اعتقد انك تريدينني ان اغادر البيت؟ وحتى لو اردت فلن افعل. والآن يا آنسة هل تودين اخباري عن حقيقة تصرفاتك الاخيرة؟».

قالت وفمها يرتجف بشدة:

«ارجوك. انا اقول دائماً انك تعرف كيف تجعل المرأة تعاني وتتعذب؟».

اقترب منها مجدداً وهو يقول بلهجة ساخرة:

«حقاً. اعتقد انني كنت لطيفاً جداً في التعامل معك».

قاطعته صارخة:

«اذن افعل ما اطلبه منك: اذهب ودعني لوحدي».

«ابداً».

وفجأة ادركت انها ابعدته عنها ما فيه الكفاية، وانه قد وصل الى نقطة اللاعودة في نفاد صبره وغضبه.

واصل بول كلامه قائلا:

«لقد جربت كل الوسائل الممكنة من اجل تلبية احتياجاتك، والآن حان دورك لتلبية احتياجاتي».

اخذ قلبها يخفق بشدة، وهي تقول:

«واذا لم استطع؟».

وقف الى جانبها وبدأ في فك ازرار قميصه، ثم قال:

«مهما كان الامر،فنحن رجل وامرأة يربطنا الزواج».

همست بعد ان لاحظت اصراره العنيف:

«سوف اقاومك بكل ما اوتيت من قوة».

استلقى الى جانبها وضمها الى ذراعه قائلا:

«قاوميني يا حبيبتي... فالامر لم يعد مهماً».

ظلت ذراعاه حولها الى ان خارت قواها، ولم تعد قادرة على المقاومة.

وما هي الا دقائق حتى تحولت الرغبة في المقاومة الى رغبة في المشاركة والحب والحنان.

قال لها بصوت متهدج:

«انت لي، دائماً كنت لي، قوليها ايتها الحبيبة».

كان قلبها يخفق بشدة واعصابها مشدودة كالوتر، لكنها استطاعت القول:

«لا».

«مهما كان، فعيناك تقولان العكس. ساتركك فوراً اذا اردت ذلك».

«ايها القاسي....».

قاطعها بضمة قوية قائلا:

«انت تقولين ذلك! انت التي عذبتني يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة، قولي انك تحبينني وتريدينني».

قالت بصوت ضعيف هامس:

«اجل».

وهكذا بدأت الحياة بينهما، جميلة مثيرة ومليئة بالعواطف الملتهبة الرائعة.

٨ـ انت جوهرة حياتي

استيقظت بروك متأخرة في صبيحة اليوم التالي لتجد نفسها وحيدة في السرير. وكم كانت دهشتها كبيرة عندما احست بالوحدة والفراغ لغياب بول. . . وراحت تتساءل في سرها عن السبب الذي منعها بالأمس من الاعتراف لزوجها بحبها الكبير العميق. انها مشتاقة اليه، وها هي تتحسس الوسادة والغطاء حيث كان يرقد قبل قليل.

ستتصل به هاتفياً على الفور، تتكلم اليه، تعترف له بحبها واشتياقها. كانت العواطف تجتاح نفسها وتدفعها الى التفكير فيه كل لحظة. تمطت بروك في سريرها بكسل وارتياح وهي تتذكر تفاصيل الليلة الماضية. كان بول عنيفاً في البداية، لكنه تحول الى اللطف والحنان فور سقوط الحواجز بينهما. وهي الآن تريده معها باستمرار، وستظل تريده حتى يتوقف قلبها عن الخفقان. لم يعودا شخصين غريبين متخاصمين، بل اصبحا روحاً واحدة وقلباً واحداً وجسداً واحداً. . . ومن الضروري ان تتصل به على الفور لتأكيد هذه الحقيقة.

التمعت عيناها بالفرحة وهي تقفز من فراشها مسرورة مرتاحة. غطت جسدها بقميص نوم خفيف، ثم فتحت النافذة لتستنشق الهواء العليل الآتي من الحدائق الشاسعة الخلابة. ولأول مرة منذ اشهر ترى جمال الحدائق من منظار جديد مليء بالأمل والتفاؤل. لقد اصبحت كارلا وكلامها وثرثرتها بعيدة كل البعد، وباتت نفسها مطمئنة الى حب زوجها وتعلقها به.

خبأت بروك شعرها خلف قبعة من البلاستيك ودخلت الى الحمام لأخذ

دوش منعش. فاليوم يحمل الكثير من المفاجآت، وفي المساء سيحضر بول الى البيت مشتاقاً. . . أجل، بول زوجها الحبيب.

وكما هو متوقع، لم تستطع بروك ان تعثر على زوجها في مكتبه اذ كان جواب السكرتيرة الدائم انه توجه الى احدى العمارات قيد الانجاز بدون ان يحدد موعد عودته الى المكتب. وابلغتها السكرتيرة انه دعي الى تلك العمارة لمعالجة بعض المشاكل العالقة، وانه بامكانها الاتصال به هناك اذا كان الامر ضرورياً وملحاً. لكن بروك قالت ان الامر غير ملح وانها ستنتظر زوجها الى العشاء. كانت تريد فقط ان تقول لبول انها تحبه، وانها سعيدة. . . وقد ظهرت سعادتها على شكل ابتسامات وزعتها على كل الذين التقت بهم في البيت هذا الصباح المشرق.

مضى كل شيء على ما يرام هذا النهار. فقد حمل بريد الصباح رسائل من ليليان ولويز تتحدثان فيها عن تفاصيل رحلتهما، والاماكن التي زارتاها، والاشياء التي اشترتاها، والحفلات التي اقامتاها.

بدت التفاصيل مملة لبروك، لكنها ولا شك مناسبة لطبيعة امها التي اعتادت في حياتها نمطاً محدداً من العلاقات الاجتماعية الراقية.

كانت بروك تجلس في الشرفة تتمتع باشعة الشمس المنعشة، وفي الوقت نفسه تراقب لوسيا في «حوض السباحة. . . عندما قرع جرس الهاتف. لم تعرف من الهاتف، لان جياني هو الذي تولى الرد، لكنها عندما شاهدت تعابير وجهه بعد لحظات ادركت ان شيئاً ما حدث وصاحت بلهفة:

«بول؟».

اسرع جياني لاسناد سيدة البيت التي هزها الموقف وهو يقول:

«ارجوك يا سيدتي، يقولون انه نقل الى المستشفى لمعالجة اصابته. كان هناك حادث عارض، وقد اسرع لمساعدة احد العمال فاصيب ايضاً. والحقيقة انني لم اسمع جيداً ما حدثني به السيد كولينز لان الحادث اضاع صوابي. السيد كولينز هو المشرف على العمل. . . وللوهلة الاولى اعتقدت».

قاطعته بروك قائلة:

«لا ارجوك يا جياني».

نزعت بروك نظاراتها الشمسية، فبدت عيناها الخضراوان فزعتين

غائرتين وقد زاغت نظراتها. تابعت تقول وشفتاها ترتجفان:

«يجب ان اذهب الى المستشفى حالا يا جياني. وعلينا ان نبلغ لوسيا بالخبر. انا خائفة جداً، لماذا لم تتركني ارد على الهاتف؟».

«طلب مني السيد كولينز ان انقل لك الخبر بلطف. لقد كان هو نفسه مضطرباً وعليه القيام باعمال كثيرة عاجلة».

همهمت بروك بصوت خافت:

«لا بأس يا جياني، انني افهم الوضع. لقد استيقظت سعيدة هذا الصباح وحاولت كثيراً الاتصال به. ارجو ان تطلب من بوب تجهيز السيارة، ثم عد الى فراشك كي ترتاح من وقع الصدمة، فأنا اعرف كم انت مرتبط بزوجي. سوف اتصل بك من المستشفى، ولعل اصابته غير خطيرة. اتمنى من الله ان يكون بخير... لانني لا استطيع العيش بدونه».

نظر جياني الى حوض السباحة قائلا:

«وماذا عن لوسيا الصغيرة؟».

«سوف اخبرها الآن، ويمكنها ان ترافقني الى المستشفى... فلا شك انها تريد رؤية ابيها».

ثم نادت على لوسيا، التي التفتت نحوهما وهي تلوح بيدها فرحة وسعيدة.

قال الخادم الأمين:

«لماذا لا ترتاحين قليلا، واتولى انا مهمة ابلاغ لوسيا؟».

انهارت بروك في مقعدها وهي تتنهد:

«آه يا الهي».

وضع جياني يده على كتف بروك لمواساتها، ثم سار باتجاه الحوض وهو ينادي على لوسيا بالايطالية. وعندما وصل اليها، مد يده لمساعدتها على الخروج من الماء... وبعد ذلك رأته بروك وهو يحتضن الفتاة الصغيرة التي اجهشت ببكاء حاد.

قالت بروك بنعومة عندما وصلت لوسيا الى جانبها:

«ابنتي الصغيرة الحبيبة، يجب ان نستعد للذهاب الى المستشفى. انك تريدين مرافقتي، أليس كذلك؟».

«طبعاً... طبعاً».

حاولت لوسيا ان تضع على وجهها قناعاً من الشجاعة، لكن بروك استطاعت ان تلمح في عينيها خوفاً عميقاً وتوتراً ملحوظاً.

كان جو الوجوم في البيت يعكس نفسه بوضوح على وجه بروك. فقد كانت تضبط اعصابها كي لا تنفجر بالبكاء، امام هارييت التي راحت تهتم بلوسيا وجياني المتوتري الاعصاب. لم يكن بول في حالة خطيرة، لكن الافكار السيئة ظلت تراودها وترعبها حتى وهي ترتدي ثيابها بسرعة. من غير المعقول ان يخطف الموت بول منها وهي في بداية السعادة؟ انها تحبه بشغف، ومع ذلك لم تقل له الكلمة التي انتظرها طويلا. ولو حدث مكروه له لا قدر الله، فهي لن تسامح نفسها طيلة الحياة. لم يعد يعنيها شيء في الكون سوى بول. لقد كان يريد طفلا منها، ويريد محبتها ومشاركتها في كل شيء... اما هي فظلت تتجاهله رغم انه اغرقها واغرق عائلتها بالهدايا القيمة المتنوعة. حتى انها اتهمته زوراً بعلاقة ما مع كارلا في الوقت الذي تعرف فيه انه مخلص لها حتى الموت. لعل ما حدث الآن هو عقابها؟ ولعلها ستبقى وحيدة في ويترسويت مع وريث بول الوحيد... لوسيا؟ لقد احبت لوسيا ولا شك، لكن حبها لبول اعمق بكثير... انه الحب الاكبر في حياتها، وبدونه ستعيش وحيدة حزينة كل ايامها الباقية.

انهمرت دموع غزيرة على وجنتيها فاسرعت تمسحها بظاهر كفها كي لا تفضح حزنها امام الآخرين. عليها ان تكون القوية في البيت، على الاقل حتى الوصول الى المستشفى. فلوسيا ليست الا طفلة متعلقة بابيها، ولا شك انها تعاني الأمرين الآن. كم تتمنى لو انها تكلمت شخصياً مع السيد كولينز، فالارجح انه لا يعرف تفاصيل اصابة بول... فقد تكون جراحة داخلية؟ عند هذا الحد من التفكير، اطلقت بروك تنهدة الم واسرعت الى حيث ينتظر الجميع.

كان السير كثيفا طيلة الطريق، واكثر من مرة شعرت بروك برغبة عارمة لاطلاق صوتها بالصراخ ضد كل السائقين ورجال المرور. لكنها لم تفعل... فقد خيم الصمت عليها وعلى لوسيا وكأنهما سارحتان في افكار عميقة بعيدة. لا شيء يقال الآن... مجرد الانتظار والترقب والدعاء. فلم تكن لتتصور ان تجد بول الشامخ الممشوق القوام طريح الفراش جريحاً.

وجد السائق مكاناً للتوقف قريباً من المدخل الرئيسي للمستشفى، فاسرعت بروك الى مكتب الاستعلامات للاستفسار عن مكان وجود زوجها. حولتها الموظفة هناك الى ممرضة اخرى طلبت منها ان تتبعاها. امسكت بروك يد لوسيا بحزم وسارتا معاً خلف الممرضة بخطواتها السريعة الواثقة. وادركت بروك على الفور ان الممرضة تقودهما الى جناح الطوارىء، وهذا يعني ان بول لم ينقل بعد الى غرفة خاصة. ومع المضي قدماً وسط الاصابات العديدة الموجودة في ذلك الجناح، بدت على لوسيا علامات التأثر والاضطراب مما دفع بروك الى الضغط على يدها بشدة في محاولة لتشجيعها وتهدئة اعصابها.

قالت الممرضة فجأة:

«انتظراني هنا من فضلكما».

استدارت الممرضة نحوهما وابتسمت مشجعة، ثم اشارت عليهما بالجلوس في مقعدين مجاورين. . . ففعلتا بانصياع تام وابصارهما شاخصة الى الباب المجاور. مضت عدة دقائق، قبل ان يطل عليهما رجل متوسط العمر قائلاً:

«السيدة كوريللي؟».

قفزت بروك واقفة وقلبها يخفق بشدة لدى سماعها النداء وواجهت الطبيب بشجاعة مصطنعة متسائلة:

«كيف حال زوجي الآن يا دكتور؟».

تنهد الطبيب وهو يرفع النظارات عن عينيه قائلاً:

«اعتقد ان عليك ايتها السيدة توجيه الدعاء والشكر لله العلي القدير لانقاذه زوجك. انه بخير الآن، لكنني اود ابقاءه قيد المراقبة ليوم او اثنين. فمن الافضل مراقبته لانه مصاب بجروح في الرأس. لا وجود للكسور مثل تلك التي اصابت العامل المسكين. . . فقد ذهب زوجك لمساعدته عندما اصيب هو الآخر، لكنه انقذ حياته في النهاية».

ردت بروك متلهفة:

«هل استطيع رؤيته يا دكتور؟». ثم تذكرت انها في لهفتها نسيت لوسيا فاردفت تقول: «هذه لوسيا ابنة بول».

هز الطبيب رأسه تأدباً وقال:

«للحظة واحدة فقط، ثم سآمر بنقله الى غرفة خاصة. لقد استعاد وعيه لفترة قصيرة ثم عاد الى غيبوبته. لا وجود لعلامات تدل على اصابة الدماغ، وعلينا فقط الانتظار حتى يعود الى طبيعته. اما العامل الآخر فاصابته غير خطيرة نسبياً، ولكنه يعاني من آثار الصدمة لانه يعتبر نفسه مسؤولاً عن الحادث. . . ولا اعتقد انه سيشفى تماماً حتى يشاهد زوجك مجدداً على قدميه. والآن ارجوكما لحظة واحدة فقط، فانا اعرف انكما ستشعران بالتحسن بعد رؤيته. لقد اضطررنا الى جز بعض الشعر لوضع الضمادة على رأسه».

خفق قلب بروك بشدة عندما شاهدت بول مطروحاً على طاولة الجراحة ورأسه محاطاً بالضمادات الطبية. كان رأسه مائلاً الى الجهة الاخرى وقد شحب وجهه تماماً بحيث بانت عظامه تحت الجلد المشدود.

لم تستطع بروك ان تحبس تنهدة الم وهي تشاهد زوجها الجريح. ثم اقتربت من الطاولة لتتمعن جيداً في الوجه، في حين اتخذت لوسيا موقعها من الجهة الاخرى.

قال الدكتور بصوت خافت:

«الجرح في الرأس سطحي. وتقدير الاشعة يؤكد ان كل شيء على ما يرام. مع ذلك يجب مراقبته. انه رجل محظوظ جداً وقوته الجسدية ساعدته كثيراً في تحمل الاصابة. سأذهب الى البيت الآن ولكني سأظل على اتصال هاتفي مع المستشفى. ولا داعي لأن تقلقا ابداً».

اجابته بروك بالنيابة عنها وعن لوسيا:

«لا نستطيع منع القلق. نحن نشكرك يا دكتور لانه بين ايد امينة».

جاهدت بروك طيلة بقية اليوم والليلة كي تعيش على الأمل الذي اعطاه لها الدكتور. صحيح انه بين ايد امينة، فقد عرفت فيما بعد ان طبيب زوجها هو واحد من اشهر جراحي الاعصاب في استراليا، ومع ذلك لم تستطع ان تغمض لها عين، اذ ظلت تتوقع ان يقرع جرس الهاتف بين لحظة واخرى. وفي النهاية راحت تردد في سرها: «كل شيء سيكون على ما يرام. . . كل شيء سيكون على ما يرام».

استيقظت بروك صباحاً وهي تعاني من صداع حاد. كان البيت في حركة هرج ومرج، ولذلك تناست متاعبها لتسيطر على الجو كله. بعد ذلك

اتصلت بالمستشفى حيث تلقت انباء سارة تقول ان حالة زوجها مستقرة وانه استعاد وعيه خلال الليل، ثم سألت عن امكانية زيارته ومواعيد الزيارة.

في هذه الاثناء كان الجميع متحلقين حولها وعيونهم شاخصة مترقبة. سألتها لوسيا:

«كيف حاله الآن؟».

رددت بروك الرسالة التي تلقتها من المستشفى... ثم انفجرت باكية. قالت هاريت وهي تربت على كتفها:

«رويدك الآن... سوف اعد فنجاناً من الشاي. انا على ثقة ان كل شيء سيكون على ما يرام».

احست بروك بموجة عارمة من الارتياح تجتاح جسدها، فامسكت بيد لوسيا التي قالت بحنان:

«سوف ابقى هنا عندما تذهبين لزيارة ابي... فلا شك انه يريد رؤيتك على انفراد».

«ما هذا الكلام؟ سنذهب لرؤيته معاً، واذا كان وضعه جيداً سنسمح لجياني برؤيته ايضاً».

انحنى جياني لبروك معرباً عن امتنانه وقال:

«اشكرك يا سيدتي، لقد صليت كثيراً، ولا شك ان العلي القدير استجاب لدعواتي».

مضى الوقت بطيئاً من جراء ازدحام السير، لكنهما وصلتا الى المستشفى اخيراً، واصرت لوسيا على ان تدخل بروك اولا. كان بول قد نقل الى غرفة خاصة فيها كل مستلزمات الراحة. ومع ان عينيه كانتا مغلقتين، الا انه سمع وقع خطواتها فقال على الفور:

«بروك».

وعندما حاول الجلوس في سريره اسرعت اليه بروك وهي تقول بلطف:

«لا تفعل يا بول. ارجو ان تظل مستلقياً».

اعترض بصوت واهن:

«ولماذا اظل مستلقياً؟».

نظرت اليه بعينين ظهرت عليهما اثار السهر والقلق، قائلة:

«وانت الآن في المستشفى بعد ان اصبت بضربة قوية على رأسك. كيف حالك الآن؟ ارجوك لا تتحرك، ستؤذي نفسك اذا فعلت. لوسيا في الخارج تنتظر دورها لرؤيتك. لقد سببت لنا حالة من الفزع لا توصف».

جاهد بول كي يخرج صوته قوياً ثابتاً:

«ارجوك ايتها الصغيرة. سأرى لوسيا بعد لحظات. والآن اخبريني لماذا انت في هذه الحالة؟».

«انت تعرف، لقد كنت في غاية القلق والتوتر».

احاط وجهها بيديه وقال:

«تعالي الى صدري».

«قد يسبب لك ذلك الألم الشديد».

قال وهو يضمها الى صدره بحنان ورفق:

«ايتها المغفلة الصغيرة... تعالي».

همست وهي ترتاح بين ذراعيه:

«انني احبك».

سألها وعيناه تحدقان فيها:

«هل تحبينني فعلاً؟».

اجابت:

«حتى الموت... وارجو ان تسمح لي ان اعبر لك عن حبي عندما تعود الى البيت».

ابتسم بلطف وهو يقول:

«طبعاً... طبعاً. أنا آسف لانني سببت لك الخوف يا زوجتي الصغيرة الجميلة. يبدو عليك وكأنك مررت في حالة من الضياع والتشتت، او بمعنى آخر ازمة صغيرة عابرة».

ردت عليه بصوت متهدج:

«بل اكبر ازمة في حياتي. يجب ان استدعي لوسيا، فهي قد عاشت الظروف الصعبة نفسها ايضاً».

قال دون ان يرفع عينيه عن وجهها:

«ادخليها يا حبيبتي، فانا مشتاق لرؤيتها. واذا ما سارت اموري على ما يرام فسأكون في البيت غداً صباحاً».

قالت بروك بحماسة وهي تستدير نحو الباب:

«آه كم اتمنى ذلك».

دخلت لوسيا متوترة خائفة، ولكنها عندما شاهدت اباها جالساً بشكل طبيعي، عادت الروح الى نفسها والقت برأسها على كتفه قائلة:

«الحمد لله على السلامة يا ابي».

وبالفعل خرج بول من المستشفى في اليوم التالي، بعد ان اكد الطبيب لبروك ان كل شيء على ما يرام. كان بول قادراً على تذكر الحادث، حتى اللحظة الحاسمة التي ابتعد فيها مع العامل المصاب عن منطقة الانهيارات الخطرة. لم يعد هناك سبب للقلق، وقد استغل بول الساعة الاخيرة من وجوده في المستشفى للاطمئنان على صحة العامل الذي كان موجوداً معه في المبنى نفسه. وكم كانت راحة العامل كبيرة لرؤية رب عمله سليماً معافى، وان كان يعرف ان عليه الاجابة على عدد من الاسئلة الهامة عندما يتماثل الى الشفاء.

ظل الهاتف يرن في البيت طيلة النهار. بعض الاصدقاء الذين كانوا يريدون مواساة بروك على مصابها تحولوا الى التهنئة عندما علموا ان بول قد عاد الى البيت بخير وسلامة. وعند الظهر تلقى جياني مخابرة كارلا، فاشار منه الى بروك يعلمها بهوية المتصلة . . . وعندها اصرت ربة البيت على ان تجيب بنفسها.

اخذت بروك السماعة بحزم قائلة بصوت واضح:

«هنا بروك يا كارلا».

قالت كارلا بحدة:

«متى سيعود بول الى البيت؟».

«اليوم».

«هل انت جادة؟».

ردت بروك بهدوء:

«اقصد ان هناك اشياء اخرى اود ان اوضحها لك. لقد حاولت التلاعب بنا، وفشلت، زوجي عائد بعد الظهر الى البيت ويمكنك التحدث اليه في اي وقت تريدين. ولانه رجل محترم وقريب لك، فهو مجبر على الرد عليك. . . لكن ليس اكثر من ذلك. ولا اعتقد يا كارلا انك ستضطرينني

الى ابلاغه بكل اكاذيبك؟ والآن ارجو ان تعذريني، فلدي اشغال كثيرة في البيت. . . فنحن نعيش جو الاحتفال والفرح هنا».

حاولت كارلا ان تقاطعها قائلة:

«ولكن يا بروك. . .».

ردت بروك وهي تشعر بالنصر والتشفي:

«وداعاً يا كارلا».

تناول الجميع الغداء وسط اجواء من الفرحة العامرة. فجياني كان يبدو وكأنه عاد في العمر عشرين سنة الى الوراء، اما لوسيا فلم تتوقف عن الكلام واطلاق النكات وكأنها تحاول التعويض عن اليومين الماضيين. في هذه الاثناء كانت بروك تتأمل الجميع بهدوء، بحيث بدت وكأن القلق والتعب قد استهلكا كل قوتها.

لا شيء يهم الآن طالما ان بول خرج من الحادث سليماً، وها هو على رأس الطاولة يوزع ابتساماته في كل اتجاه. وتساءلت بروك في سرها: «تراه يعرف كم كان قلقها كبيراً عليه؟».

عندما حان موعد النوم، ارتدت بروك قميص نومها الحريري بعد ان وضعت قطرات من عطرها المفضل على معصميها وخلف اذنيها. لقد ظل بول ينظر اليها بشكل غريب طيلة السهرة، لعله لم يصدق اعلانها الصريح عن الحب؟ لعله اعتقد ان كلامها كان بتأثير الصدمة والخوف؟ والحقيقة ان كل شيء كان سيتغير لو حدث مكروه لبول، فهو العمود الفقري للبيت وللعائلة. الجميع يعتمدون عليه، حتى ليليان ولويز في جولتهما حول العالم.

ترددت قليلا امام باب غرفته قبل ان تدخل بخجل:

«بول؟».

استدار نحوها متسائلا:

«نعم يا حبيبتي؟».

خفق قلبها بشدة وهي تقول:

«هل تريد مني شيئاً؟».

رد بنعومة:

«اريدك الى جانبي، كي تنهي اعترافاتك امامي».

«انت تعرف الآن كل اسراري».

«اعرف انك قلت لي انك تحبينني، ولكنني اريد التأكد مما اذا كان هذا الحب وليد اللحظة الطارئة حين شعرت بعدم الاطمئنان. . . ام انك تقصدين ذلك فعلاً؟».

لم تستطع الاجابة على الفور، بل شعرت بغصة خانقة في حنجرتها منعت عليها حتى التنفس. . . فراحت ترتجف دون ارادة، ثم قالت بعد لحظات:

«استغرب ان لا تصدقني بعد كل الذي حصل؟».

قال آمراً:

«اقتربي مني. لعلي لا اجرؤ على تصديقك؟».

سارت بروك نحوه وكأنها منومة مغناطيسياً، ثم جلست على حافة السرير بالقرب منه تماماً. سألها وهو يدير وجهه نحوها:

«هل انت نادمة لزواجك مني؟».

ردت وقد ازداد شحوب وجهها:

«كلا. . . لقد اخبرتك».

«اسكتي يا حبيبتي. لقد انتظرتك زمناً طويلاً، وقد حان الوقت لترددي عبارات الحب على مسمعي حتى زمن طويل ايضاً».

«وهل ستكون حياتنا كلها سعادة في سعادة؟».

قال وهو يتنهد بعمق:

«انت تحبينني، ومع ذلك تشعرين ببعض الشك تجاهي؟».

قالت بتردد:

«اليس لي الحق في ذلك؟».

«لا يحق لك ابداً. هل تعتقدين انني ابحث عن غيرك طالما انك معي دائماً؟».

اغمضت عينيها وهي تقول:

«ولكنك لم تقل لي ابداً انك تحبني».

«انت يا حبيبتي لا تفهمين الكثير من العادات الايطالية. ففي الحياة اشياء لا نسيطر عليها. لقد اردتك منذ ان وقعت عيناي عليك لأول مرة، ولا شك انني صبرت طويلاً الى ان حققت رغباتي».

«ارجوك، ضميني الى صدرك».

«الن تقاتليني؟».

«قلت لك انني احبك».

«ارغب في التأكد يا حبيبتي. فأنا اريدك روحاً وقلباً وجسداً ايتها العزيزة الغالية. هيا افتحي عينيك، اود ان ارى اعماق نفسك».

حدقت فيه بعينين غائمتين ساحرتين:

«ماذا يمكن ان اقول لك اكثر مما قلت؟».

«يمكنك ان تفكري باشياء كثيرة. هل تستطيعين العيش من دوني؟».

تهدج صوتها وهي تقول:

«مستحيل. قبل وقوع الحادث حاولت ان اتصل بك هاتفياً. كنت اريد ان اعبر لك عن حبي، واخبرك عن الاشياء الكثيرة التي تعلمتها منك. . . لكنك لم تكن موجوداً. ثم جاء الخبر المرعب. عندها ظننت للوهلة الاولى انني خسرتك في اللحظة نفسها التي وجدت فيها حياتي معك».

رد عليها بسرعة:

«لا تقولي لي مثل هذه التعابير اذا كنت لا تقصدينها».

حدقت فيه بتوسل:

«لكنها الحقيقة المطلقة. انا لا استطيع ان اخفي عليك شيئاً بعد الآن. . بل لا ارغب في اخفاء اي شيء. انني اسعى للوصول الى نفسك مهما كلف الامر. اريدك لي وحدي، سواء كنا على انفراد او بين الناس او حتى عندما يكون عندنا اولاد. . . كل ما استطيع تقديمه هو ملك لك».

التمعت عينا بول ببريق اليقين وهو يقول:

«لو تعرفين كم هو تأثيرك علي؟ في حياتي كلها لم تأسرني امرأة مثلما فعلت انت. لقد ضعضعت توازني منذ اللحظة الاولى للقائنا، واعتقد انني كنت ابحث عنك طيلة حياتي. . . ابحث عن المرأة التي تحمل صفاتك. وحتى عندما وجدتك، جابهتني بالرفض المطلق القاسي».

ردت بروك بلهجة الاعتذار والاسف:

«لا استطيع تخيل تلك الايام. دائماً كنت انظر اليك كرجل مغامر، لكنني رغبت في حبك لي لوحدي. نساء كثيرات رمين انفسهن عليك بدون ان يحفظن كرامتهن وكبرياءهن لقد شاهدت تصرفاتهن، ولم اكن اريد ان

كون واحدة منهن. ما كنت لاتحمل الحياة لو انك عاملتني باسلوب مهين غير مقبول».

ضمها الى صدره بحنان وهو يقول:

«ايتها الصغيرة المغفلة. حاولت جهدي كي اراقب طريقة تصرفي معك. فانت جوهرتي الغالية... ولا شك انك تعرفين ذلك الآن؟».

ردت بلطف:

«لم اكن اعرف من قبل، حتى انني كنت اغار من كارلا».

صرخ باستغراب شديد:

«كارلا؟».

اجابت مبتسمة:

«اجل كارلا، فقد ذكرت لي اموراً كثيرة واعادت اليّ الولاعة الذهبية التي اهديتك اياها».

نظر اليها بتمعن قائلا:

«هكذا اذن. للأسف لم اخبرك عن الولاعة في وقتها. لقد تركتها في مكان ما ولم اعد اتذكر اين... ومع ذلك كنت امل ان اجدها في اي وقت. واؤكد لك انني لم استعمل الولاعة في مكان آخر خارج البيت».

«انتهى الامر الآن يا حبيبي... انا اصدقك».

«يجب ان تصدقي لان كارلا صاحبة مشاكل معروفة، ليس دائماً لكن في بعض الاحيان».

قالت بروك:

«انها كذابة كبيرة».

«حسناً، انها كذابة كبيرة. وماذا يهمنا في الأمر؟ فنحن لن نراها كثيراً، وسترجع الى كينيا في اقرب وقت ممكن. كان عليك ان تخبريني بانها تزعجك كي اتولى امرها بنفسي».

قالت بصوت هامس دافىء:

«بول... خذني بين ذراعيك يا حبيبي».

«حتى آخر العمر ايتها العزيزة الغالية».

والتقت عيناه السوداوان بعينيها الخضراوين في عناق حار يحمل في طياته كل معاني الحب والأمل والمستقبل...